المدخل إلى
الثقافة الإسلامية

(مقرر جامعي)

تأليف

أ.د. إبراهيم بن حمّاد الريس | أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أ.د. خالد بن عبد الله القاسم | أ.د. علي بن عبد الله الصيّاح

د. إدريس بن حامد محمد

رحمه الله تعالى

أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك سعود

طبعة مزيدة ومنقحة

مدار الوطن للنشر

الطبعة السادسة عشرة
١٤٣٣هـ/٢٠١٢م



هاتف: ٠٠٩٦٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)
فاكس: ٠٠٩٦٦٦٤٧٢٣٩٤

الموقع على الإنترنت:
(www.madaralwatan.com)

البريد الإلكتروني:
(pop@madaralwatan.com)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله وعلى آلِهِ وصحبِهِ، أما بعد:

فهذا الكتابُ الذي بين يديك (المدخل إلى الثقافة الإسلامية) يتضمنُ عرضًا لقضايا ثقافيةٍ مهمةٍ تحتاجُ لمعرفتها طلاب وطالبات الجامعات ابتداءً بمفهومِ الثقافةِ الإسلاميةِ، وموقفِها من الثقافاتِ الأخرى، ثم خصائصِ الإسلامِ العامة، التي يمتازُ بها عما سواه من مناهجَ وأديانٍ منتشرةٍ في العالم، وعرضٍ لأصولِ الإيمانِ الستة، وأثرِها في حياةِ المسلمين أفرادًا ومجتمعات، ثم خُتِمَ الكتابُ بنواقضِ الإسلام.

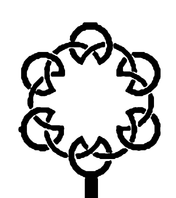
وهذا الكتابُ جَهْدٌ جماعيٌّ من أساتذةِ قسم الثقافةِ الإسلامية بكليةِ التربية بذلوا ما يستطيعون من وقتٍ وخبرةٍ في سبيلِ نشر العلمِ النافع.

ومع ذلك فهذا الكتابُ عملٌ بشريٌّ يعتريه ما يعتري البشرَ من نقصٍ؛ ولهذا فيسرُّ المؤلفين أن يتلقوا أية ملحوظةٍ تُبدى على الكتاب.

والله ولي التوفيق.

Email: slm١٠١ksu@gmail.com

* * *



أولاً: الثقافة الإسلامية

- مفهوم الثقافة الإسلامية
- أهمية الثقافة الإسلامية
- مصادر الثقافة الإسلامية
- التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية وسبل مواجهتها
- موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى
- الحوار بين الحضارات

مفهوم الثقافة الإسلامية

أ- تعريف الثقافة في اللغة:

استعمل العربُ مادة «ثَقِفَ» بمعانٍ متعددةٍ يرجعُ بعضُها إلى أمورٍ معنوية كما يرجع بعضُها إلى أمورٍ حسية، وإن كانت دلالتها على الأمورِ المعنوية أكثرَ من دلالتِها على الحسيات[1].

فمن الأمور المعنوية:

الحِذْقُ، الفطنةُ، الذكاءُ، التهذيبُ، الظَفَرُ، التأديبُ، المصادفَةُ، سرعةُ أخذ العلم وفهمُه، ضبطُ المعرفةِ المتلقاةِ، تنميةُ الفكر والمواهب[2].

ومن المعاني الحسية:

تقويمُ المعوج، التسويةُ، كتسوية الرماح والسيوف، إدراكُ الشيء والظفرُ به، الغلبةُ، الأخذُ في قوة، الإصلاح، الوجود. وقد وردت كلمة «ثقف» في القرآن بما يتضمن هذه المعاني كقوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً﴾.

ومن مجموع ما سبق نستنتجُ أن الدلالات اللغويةَ لمصطلحِ الثقافةِ واسعةٌ ومتنوعةٌ، تتناولُ الجانبَ المعرفيَّ والجانبَ السلوكيَّ.

أما عند الغرب فيدور معنى الثقافةِ في أصلها اللاتيني على فِلاحةِ الأرضِ وتنميةِ محصولاتها، ثم توسعت لتشملَ المعنى الماديَّ الحسي كما سبق، وتنميةَ العقلِ والذوقِ والأدب بالمعنى المعنوي[3].

---

(١) نظرات في الثقافة (ص:١١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: ثقف (١/ ٣٨٢)، ولسان العرب مادة ثقف، والمعجم الوسيط، مادة: ثقف.

(٣) المورد (ص: ٢٣٨).

ب- تعريف الثقافة في الاصطلاح:

إن مصطلحَ الثقافةِ لم يُعرَّفْ تعريفًا واضحًا قاطعًا للجدلِ فكان معناها الاصطلاحيُّ أوسعَ من معناها اللُّغويِّ الذي سبق بيانُهُ فتعددت الآراءُ حولَ مفهومِها الاصطلاحيِّ، ونكتفي بتعريفِ المَجْمعِ اللُّغوي الذي عرَّفها بقوله: «جملةُ العلومِ والمعارفِ والفنونِ التي يُطْلَبُ العلمُ بها والحِذْقُ فيها»[١].

ج- العلاقة بين الثقافة وغيرها من المعارف:

هناك علاقةٌ وطيدة بين الثقافةِ والعلم، وبينها وبين الحضارة، لذا يحسُنُ بيانُ هذه العلاقاتِ بين الثقافةِ وهذه المعارفِ المختلفة.

أولاً: العلاقة بين الثقافة والعلم:

العلمُ جملةٌ من المعارفِ المتنوعةِ التي يحصلُ عليها المتعلمُ، والثقافةُ كذلك[٢]. فتقوم العلاقةُ بينهما على التشابه والتكامل.

أما من ناحيةِ الاختلاف فتتميزُ الثقافةُ بالتنوعِ والشمولِ، فمن أخذ شيئًا من كلِّ شيءٍ فقد أصبح مثقفًا، وأما العلمُ فيتميز بالتخصصِ، فمن أخذَ كلَّ شيءٍ تقريبًا من شيءٍ واحدٍ فقد أصبح عالمًا.

والثقافةُ طابَعُها شخصيٌّ تختلف من ثقافةِ أمةٍ لأخرى، فثقافةُ الوثنيِّ والنصرانيِّ والهندوسي... إلخ. تختلف عن بعضها البعض، لأن كلَّ ثقافةٍ تستمدُّ عناصرَها من تصورِها الديني في المقام الأول. أما العلم فطابعه موضوعيّ تتحدُّ فيه النتائجُ، فالماءُ مثلًا يتكون من ذرات من الأكسوجين بالإضافة إلى ذراتٍ من الهيدروجين (H_2O) وهذا في كل الثقافات.

---

(١) المعجم الوسيط مادة: ثقف (١/ ٩٨).

(٢) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية (ص:٣١).

فيتبينُ مما تقدم أنّ ميدانَ الثقافةِ أوسعُ من ميدانِ العلمِ، وإن كان العلمُ يخدمُ الثقافةَ ويرشدُها، فهي لا تستغني عن العلم.

ثانيًا: العلاقة بين الثقافة والحضارة:

الحضارةُ تتناول جملةً من مظاهرِ الرقيِّ العلمي والفنيِّ والأدبيِّ والاجتماعيِّ التي تنتقلُ من جيلٍ إلى آخر في جوانب الحياة المادية، أما الثقافةُ فهي جملةُ العلوم والمعارفِ التي يُطلب الحِذْقُ فيها، فالثقافةُ تهتم بالجوانبِ المعنوية والحضارةُ ألصق بالماديات، وهذا الفرق في الجانب النظري فقط.

أما في الجانب العملي فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباطًا وثيقًا؛ لأن ثقافةَ كلِّ أمةٍ هي أساسُ حضارتها وفكرِها وأسلوبِ حياتها[1]، فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية.

فالثقافةُ هي المظهرُ العقلي للحضارة، والحضارةُ هي المظهرُ المادي للثقافة.

د- تعريف الثقافة الإسلامية اصطلاحًا:

لكلِّ أمة ثقافةٌ خاصة بها، وأمةُ الإسلامِ تنفردُ ثقافتُها عن ثقافةِ سائرِ الأمم حيث تكتسبُ تميزَها الخاصّ بين الثقافات في تحديدِها أولًا، وفي مقوماتِها وعناصرِها وخصائِصها ثانيًا[2].

إن تعريفاتِ الثقافةِ الإسلامية متعددةٌ ويرجع هذا التعدد إلى:

١- جديةِ هذا المصطلح وحداثتِه.

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية (ص:٤٢).

(٢) الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادة وقسمًا علميًا (ص: ١٣).

٢- اختلافِ تصوراتِ العلماء المعاصرين حول هذا المصطلح[١].

وأقربُ تعريفٍ لها أنها: «معرفةُ مقوماتِ الأمةِ الإسلاميةِ العامةِ بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهدافٍ مشتركة بصورةٍ واعية هادفة»[٢].

ولعلَّ هذا التعريفَ باشتمالهِ على موضوعاتِ الثقافة الإسلاميةِ الرئيسةِ، يكون أقربَ التعريفاتِ إلى الصواب.

* * *

(١) من التعريفات الجامعة التي تربط بين العلم والعمل والسلوك: «معرفة مقومات الأمة والدين المستفادة من مصادر الكتاب والسنة واجتهادات العلماء علمًا وتطبيقًا». كما عرفت بأنها «العلم بمنهج الإسلام الشمولي في العقيدة والشريعة والأخلاق والحضارة تأثرًا وتطبيقًا».

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية (ص:١١).

أهمية الثقافة الإسلامية

تتجلى أهميةُ الثقافةِ الإسلامية بالنظرِ إلى أهدافها وآثارها.

أ- أهدافُ دراسة الثقافة الإسلامية:

من أهم أهدافِ دراسة الثقافةِ الإسلامية ما يلي[1]:

١- تقديمُ التصورِ الصحيحِ الكامل والشامل للحياةِ والإنسانِ والكون من خلال تحديدِ علاقةِ الإنسان بربه وعلاقته بنفسه والآخرين وبالكون أجمع.

٢- إمدادُ الدارسِ بحصيلةٍ مناسبة من المعارف المتعلقة بالإسلامِ عقيدةً وشريعةً ومنهجَ حياة، وحضارة بوصفه دينًا عامًّا صالحًا للبشرية في كل زمان ومكان، وهذا يعطيه حصانة ضد تياراتِ الإلحاد المختلفة.

٣- تنميةُ رُوح الولاءِ للإسلام وتقديمُه على ما سواه من صورِ الانتماءات الأخرى؛ مثل القومية والعرقية أو العنصرية؛ لأنّ الولايةَ تكونُ لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين. أي الولاءَ لما جاء في كتابِ الله ﷻ وسنّةِ نبيه ﷺ.

٤- إبرازُ النظرةِ الشموليةِ للإسلام باعتباره كلًا مترابطًا متكاملًا، لا ينفصلُ فيه أصلٌ أو فرع عن آخر، والتخلصُ من النظرةِ الجزئية له التي تُقْصِرُه على بعضِ جوانبِ الحياة، مثل دعوى الالتزام بالفروض الخمسة، وأخذ الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع، أو تصور الكون بعيدًا عن العقيدة والشريعة.

٥- ترجمةُ الأخلاقِ والتعاليمِ الإسلامية إلى واقعٍ عملي وسلوكي ملموس،

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية تخصصًا (ص: ٢٣)، والمدخل إلى الثقافة الإسلامية (ص: ١٠).

يعايشه المسلمُ في حياتهِ العمليةِ اليوميةِ، باعتبار الإسلامِ نظامًا تطبيقيًا في الحياة.

٦- بيانُ خصائصِ الإسلامِ وسموِّه، وإظهارُ وسطيته وقدرتُهُ على تحقيقِ السعادةِ في الدارين.

ب- آثار الثقافة الإسلامية:

إن أثرَ الثقافةِ الإسلاميةِ على كافةِ الثقافات الأخرى من الأمور المسلَّم بها؛ لأن المسلمين أحرزوا نجاحاتٍ باهرةً في مناطق شاسعةٍ من العالم، لكنَّ المهمَ أن يتبينَ أبناءُ الأمة موقعَهم في هذا العالم، وموقفَ الأعداءِ والأصدقاءِ منهم؛ لأنّ لذلك أثرًا عظيمًا في حياتهم ومستقبلهم، ومن أهم آثارها:

١- أثرت الثقافةُ الإسلامية على الثقافةِ الأوربية في مختلفِ الميادين، ومنها ميدانُ العقيدة والدين الذي ظهر في حركاتِ الإصلاحِ الدينية التي قامت في أوروبا منذ القرنِ السابع حتى عصرِ النهضةِ الحديثة، فوجِدَ عندهم من ينكرُ عبادة الصورِ، ومن ينكر كذلك الوساطَةَ بين الله وبين عباده، ومن ينكر الاعترافَ أمام القسيس؛ لأنه لا حقَّ له في ذلك بل يتضرعُ الإنسانُ إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثمٍ. وأكد كثيرٌ من الباحثين أنّ «لوثر» في حركته الإصلاحية كان متأثرًا بما قرأه للفلاسفةِ العرب والعلماءِ المسلمين، من آراءٍ في الدين والعقيدة والوحي[1] وكان هذا التأثيرُ عبر منافذَ عدةٍ: عن طريقِ بلاد الشام، وصقلية، والأندلس وغيرها.

٢- انتشار الإسلام وثقافتهِ في الشرقِ الأقصى مع حركةِ التجار التي كانت إحدى قنواتِ الاتصالِ المهمة حيث نقلَ التجارُ المسلمون الكثيرَ من مظاهرِ الثقافة الإسلامية إلى مختلف الشعوب في قارة آسيا وأفريقيا.

---

(١) انظر: في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل وآخرون (ص:١٥٥).

٣- كما انتشرت الثقافةُ عبر حركةِ الترجمة حيث تُرجِمَتْ أمهاتُ الكتب العربية والإسلامية إلى اللغاتِ الأخرى في مختلَفِ ميادين العلمِ والفلسفةِ في القرون الوسطى وعصر النهضة، وبداية العصر الحديث، ولذا ظهر الأثرُ البارزُ للثقافةِ الإسلاميةِ على غيرها. وقد شهد العديدُ من الباحثين والمفكرين الغربيين على ذلك الأثرِ القوي الذي أحدثته الثقافة الإسلامية[1].

على الرغم من هذه الآثار إلا أنهُ يلْحظُ في دراسةِ كثيرٍ من المستشرقين التهميشُ والتجهيلُ والإنكارُ لمآثر العرب والمسلمين في العلوم والفلسفة، ويَرْجعُ سببُ ذلك إلى تلك الصورةِ المشوهة عن المسلمِ وثقافتهِ حتى أصبحَ الإسلامُ بموجبها عنصرَ جمودٍ وتخلف في نظرهم، مع تجاهلِ إبداعاته.

***

(١) من هؤلاء على سبيل المثال (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب)، و(استانوود كب) في كتابه (المسلمون في تاريخ الحضارة)، و(زيغريد هونكه) في كتابها (فضل العرب على أوربا) و(شمس العرب تسطع على الغرب).

مصادر الثقافة الإسلامية

تنقسمُ مصادرُ الثقافة الإسلامية إلى قسمين:

أولًا: مصادر شرعية أصلية، وهي الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

ثانيًا: مصادر فرعية، وهي الإجماع والقياس وغيرهما[١].

أولاً: المصادر الشرعية الأصلية:

المصدر الأول: القرآن الكريم:

هو كلامُ الله الذي أوحى به إلى نبيه محمدٍ ﷺ بلفظه ومعناه والذي تعبدَنا بتلاوته والعمل بِه.

وهو المصدرُ الأساسُ لهذه الثقافة، والمشتملُ على أصولِ العلوم المختلفة، أنزله الله هدى ورحمة للعالمين، تبيانًا لكل شيء، جعله الله كتابَ عقيدةٍ وهدايةٍ، وتربية وتعليم، وثقافة، حوى آدابًا وقيمًا وسلوكًا تنظمُ حياةَ الأممِ والأفراد في مختلفِ الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

فيه خَبَرُ من قبلنا، ونَبَأُ من بَعْدَنا، وفَصْلُ ما بيننا، من قالَ به صَدَقَ، ومن عَمِلَ به أُجِرَ، ومن حَكَمَ به عَدَلَ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم.

من مزايا القرآن:

١ – أن اللهَ حفظه من التحريفِ في القرون السابقة، وسيبقى كذلك إلى قيام

---

(١) هناك فرق بين مصادر الثقافة الإسلامية، ومصادر التشريع الإسلامي، فالأولى أوسع من مصادر التشريع لأنها تشمل العلوم الإنسانية، كما تشمل الآداب والتراث الإسلامي.

الساعة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

أما الكتبُ السابقةُ فقد أضيف حفظُها إلى أصحابها فحرّفوها[1]، قال تعالى: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- أنّ القرآن جاء مؤيدًا ومصدقًا لكلِّ الكتب السابقة ومهيمنًا عليها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

٣- احتوى القرآنُ على شريعة عامة للبشر فيها كلُّ ما يُسْعدهم في الدارين. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٩٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام:٣٨].

٤- جمع القرآن كلَّ ما كان متفرقًا من العقائد وأصول العبادات ومكارم الأخلاق في الكتب السابقة.

(١) أشار كتاب الله إلى هذا التحريف في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩].

المصدر الثاني: السنة النبوية:

في اللغة: الطريقةُ والسيرةُ والأسلوبُ والنهج(١).

وفي الاصطلاح: هي كلُّ ما صَدَرَ عن النبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة(٢).

والسنة أنواع منها:

السنة القولية: مثل قولِه عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»(٣).

السنة العملية: مثل أفعالِ وضوئه ﷺ وصلاته وحجّه.

السنة التقريرية: وهي ما أقرّه عليه الصلاة والسلام مما صَدَرَ عن أصحابِهِ من قولٍ أو فعلٍ بسكوته، أو إظهارِ الرضا عنه واستحسانه.

ومن السنة: ما يتعلق بشمائلِهِ، من صفاتِهِ وأخلاقِهِ ﷺ.

فالسنةُ هي المصدرُ الثاني بعد كتاب الله تعالى، والاعتمادُ عليها أمرٌ ضروري في بناء الثقافة الإسلامية؛ لأن القرآنَ جاء بالعمومياتِ والكليات(٤) تاركًا التفاصيل إلى السنة، فلا يُعْرفُ قولُه تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣] إلا بقولِ الرسول ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(٥)، وغيرِ هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء الصلاة بجميع أركانها، وشروطها من فرض وسنّة.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠٩)، والمعجم الوسيط مادة: سنّ (١/ ٤٥٦).
(٣) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح (ص:١٢).
(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم (١) ومسلم، كتاب الإمارة، باب إنما الأعمال بالنية، رقم (١٩٠٧).
(٢) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية (ص:٤٧).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، رقم (٦٣١).

ولا قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]. إلا بقوله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم»[1]، وغيرِ هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء مناسك الحج الفرضية والسنية.

مكانة السنة مع القرآن تأتي على ثلاثة أحوال:

١- أن تكونَ موافقةً له، فيأتي الحكمُ في القرآنِ والسنةِ معًا، مثلُ الأمرِ بالصلاة والنهي عن الزنا.

٢- أن تكونَ السنةُ بيانًا للقرآن وتفسيرًا له، مثلُ تفسيرِ الزيادةِ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فسَّرها ﷺ بالنظرِ إلى وجه الله تعالى[2]؛ وتفسيرِه ﷺ للظلمِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] فسرها بالشرك[3].

٣- أن تجيء السنةُ بزيادةِ حكمٍ لم يردْ في القرآن؛ مثل: إيجابِ استئذانِ المرأةِ عند إرادة تزويجها، تحريم الجمعِ بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

فالقرآنُ الكريم والسنةُ بينهما من التلازمِ، ما شهدت به كثيرٌ من الآيات والأحاديث، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وقوله ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُم بِهِ كِتَابَ الله

---

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي الجمرة يوم النحر راكبًا، رقم (١٢٩٧).
(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم(١٨١).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم (٣٢).

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي...»[1] الحديث.

إنّ ترجمةَ هذه المصادرِ إلى الواقعِ العمليِّ يتطلبُ تعلُّمَ كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ عن قرب بقراءتها وفهمها، وتدبر معانيها.

ثانيًا: المصادر الفرعية:

١- الإجماع[2].

٢- القياس[3].

٣- التاريخ الإسلامي.

٤- اللغة العربية.

٥- التراث الإسلامي.

٦- الخبرات الإنسانية النافعة.

***

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(١) الإجماع: هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول ﷺ على حكم من الأحكام الشرعية العملية، وهو حجة يجب العمل به. لأن اتفاق جميع المجتهدين على رأي واحد مع اختلاف عقولهم ومعارفهم يدلّ على أن هذا الرأي هو عين الحق والصواب (انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، (ص:١٢٧).

(٢) القياس: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. انظر: روضة الناظر، (ص:٢٨٢).

التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية

واجهت الثقافةُ الإسلامية تحدياتٍ عديدةً متنوعةً ومن أهمها:

أولاً: الغزو العسكري:

عانت الأمةُ الإسلامية من هجماتٍ عسكريةٍ ظالمةٍ استهدفت وجودها وثقافتها منذ القدم، ومن ذلك:

تألبُ الأحزابِ من العرب المشركين على المدينة مع اليهود من الداخل في السنة الخامسة من الهجرة في غزوة الأحزاب المشهور في السيرة التي ذكرها الله سبحانه في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠].

حشودُ الرومِ على حدود الجزيرة العربية في آواخر حياةِ النبي ﷺ ومعركةُ مؤتةٍ وتبوك وكذلك حشودُ الرومان والفرس في عهد الصديق والفاروق انتهت بمعركة اليرموك والقادسية.

الحروبُ الصليبية الشرسة (٤٩٠هـ-٦٩١هـ) التي استهدفت الشام ومصر، وأدت إلى انشغالِ الأمةِ بها قرنين من الزمان.

ثم الهجومُ التتري على العراق والشام وإسقاطُ الخلافة العباسية وتدميرُ الكتبِ وقتلُ العلماء في القرن السابع الهجري.

ثم الاستعمارُ الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرنين الماضيين (١٧٩٨م – ١٩٦٢م)، ومحاولتهُ مسخِ الثقافةِ الإسلاميةِ واستنزافِ خيراتِ الأمةِ.

وزامنَ ذلك الغزوُ الشيوعيُّ على البلدان الإسلامية في آسيا الوسطى ونشرُ الإلحاد ثم غزو أفغانستان والشيشان واستباحةُ دماء المسلمين واستعمارُ بلدانهم ونهبُ خيراتهم.

وما نشاهده الآن من هجمةٍ صهيونية شرسة زرعها الغربُ[1] في قلبِ العالم الإسلامي لشرذمةٍ من اليهود اجتمعت من أنحاءِ العالم باختلاف لغاتهم وعرقياتهم في هجراتٍ متتابعةٍ بمساعدةٍ غربيةٍ مباشرة مع اعتداءاتهم المتكررةِ على الفلسطينيين بل تجاوز العدوان على البلدان العربية.

وكان هذا الجسمُ الصهيوني بالمساعدة الغربية عاملًا مهمًا في تأخر الأمة وإشغالها.

وما جرى من احتلالٍ لأكثر من بلدٍ إسلامي بحججٍ وهميةٍ، وزامن ذلك الضغطُ على المؤسساتِ الثقافية بضرورةِ التغيير الثقافي والمقصود منه تجفيف منابع الثقافةِ الإسلامية، إضافةً إلى تشويهِ الجمعياتِ الإسلاميةِ الخيريةِ ورميها أيضًا بتهمة دعم الإرهاب (مع أنها أوضح وسائل ترابط المجتمع الأهلي الذي ينادون به في معظم الدول)، فتلك الجمعياتُ تدعو إلى الإسلامِ وتكفلُ الأيتامَ وتقيمُ المستشفياتِ وتحفرُ الآبارَ وتعينُ الفقراءَ وتقيمُ المدارسَ وتَصب في خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة الثقافة الإسلامية[2].

وهذه التحدياتُ لن تقضي على دين الله تعالى فقد أخبر المولى سبحانه ببقاء دينِهِ وظهورِهِ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة:٣٣].

---

(١) الغرب ليس شيئًا واحدًا بل يجب التفريق بين الجهات الصهيونية والصليبية المعادية، وبين المنصفين منهم، وبين الأغلبية التي تأثرت بوسائل الإعلام المعادية، ومن الممكن التأثير عليها وبيان الحق لها.

(٢) قال رئيس الوزراء الماليزي أمام اجتماع مجلس الكنائس العالمي (٢٦/ ٦/ ١٤٢٥هـ الموافق ٣/ ٨/ ٢٠٠٤م) في كوالمبور: إن العالم الإسلامي يخشى حربًا دينية تحت ستار مكافحة الإرهاب.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم من خَذَلهم، حتى يأتيَ أمرُ الله وهم كذلك»[1].

وإن من حِكَمِ المولى سبحانه أن تقعَ هذه التحدياتُ عقوبةً للمعرضين ليعودوا ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١].

كما أنها بلاءٌ للمؤمنين لرفعةِ الدرجاتِ وتكفيرِ السيئات ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١-٢]، وفيها تنقيةٌ للصف المسلم قال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت:١١].

* * *

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي..» رقم (١٩٢٠).

ثانيًا: الغزو الفكري:

مجموعةٌ من الجهود الفكرية التي تقومُ بها أمةٌ للاستيلاءِ على أمةٍ أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة.

وهو أخطرُ من الغزو العسكري[1] فهو يدخل غالبَ البيوتِ خلافَ العسكري. كما أنَّ كثيرًا من الناس لا يشعرون به.

وسائل الغزو الفكري:

١- **الإعلام**: استغل الغربيون والمتغربون وسائلَ الإعلام المختلفةِ لحرب الإسلام، حيث أصبح المدافعُ عن أرضه وبلده إرهابيًا والمحتلُّ مدافعًا عن نفسه، ونظرةٌ سريعة إلى بعض وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليلَ نهار لتشويه صورةِ الإسلامِ والمسلمين والإساءةِ إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا، سيلٌ من الشبهات التي تشكك في الدينِ وأحكامِهِ، وسيلٌ آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام، وتقوم بعرض نماذج من أنماطِ الحياة تضادُّ الإسلامَ في كلِّ شيءٍ، تمجدُ الجريمةَ، وتدعو إلى الفسقِ والفجورِ، وتُكرِّه في الحياةِ المستقيمة الفاضلة، وتتهكمُ بالمسلمين والمسلمات، وتتخذ الدينَ هزوًا، وتعرضُ ما حرَّم الله: الرقص الفاضح، وشرب الخمر، والكذب والدجل، وقد قامت للتافهين أسواقٌ ضخمةٌ في كلِّ مكانٍ باسم الفن[2].

وقد ازداد خطرُ هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات، وتنامي الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث نجدُ المواقعَ التي تثيرُ الشبهاتِ، وتشكك في العقائد، وتنشر

---

(١) انظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في تعريف الغزو الفكري بالشبكة العنكبوتية وانظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا بعنوان الغزو الفكري بالشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٦٢-٦٤).

المذاهب الباطلة.

٢- **الاستشراق:** وهو دراسةُ الغربيين للشرق وعلومه وأديانه -خاصة الإسلام- لأهداف مختلفة[١]، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين.

ومن أهم نتاجِ المستشرقين في القرن العشرين دائرةُ المعارفِ الإسلاميةِ التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات، وقد اشترك في تأليفها أكثر من (٤٠٠) مستشرق، وبلغت أكثر من (٣٠٠٠) مادة في أكثر من (١٠.٠٠٠) صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرقِ والإسلامِ بالذات، كما أنها اشتملت على شبهٍ ومطاعنَ متفرقةٍ حول القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية وأعلامِ المسلمين بلغت أكثر من (٣٠٠) مطعن وانتقاص للعقيدة الإسلامية[٢].

وقد مُلئت كتاباتُ المستشرقين بالتعصب الصليبي باعترافِ كثيرٍ من المستشرقين، يقول برنارد لويس: «لا تزال آثارُ التعصب الديني الغربي ظاهرةً في مؤلفاتِ العديد من العلماء المعاصرين ومستترةً في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية»[٣].

إن كثيرًا من المستشرقين كانوا أداةً للاستعمار، حيث تخلوا عن أمانتهم العلمية لتأييد المحتل، يقول مراد هوفمان، سفير ألمانيا في المغرب -وقد هداه الله للإسلام-: «والحق أن معظم المستشرقين عن وعيٍ أو غيرِ وعي كانوا أداةً لخدمةِ

---

(١) المستشرقون لهم أهداف متنوعة منها أهداف مادية، وأهداف علمية، وأهداف استعمارية، وأهداف دينية وصليبية، وربما أسلم بعضهم، ولكن الحكم بالغالب وبالمؤسسات الاستشراقية الكبرى التي تهدف إلى صراع حضاري لهدم الإسلام وتشويهه.

(٢) مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٨٤-١٠١).

(٣) العرب والتاريخ، برنارد لويس، (ص: ٦٣).

الاستعمار، وإن كان بعض أولئك كانوا جواسيسَ للغرب بالفعل»[1]، وتتعاون المخابرات الغربية -لاسيما الأمريكية- مع مراكز الدراسات الاستشراقية، لاسيما فيما يتعلقُ بالحركاتِ الإسلامية. ويبلغ أعضاءُ رابطةِ دراساتِ الشرق الأوسط[2] الاستشراقية في أمريكا إلى قرابة (١٦٠٠) عضو سنة ١٩٨٦م، ووصلت أعدادُ العناوين للموضوعات المنشورة عن الشرقِ الأوسطِ في الدورياتِ المتخصصةِ سنة ١٩٨٧م إلى نحو (٧١) ألفَ مادة. كما أن كثيرًا من المستشرقين ينظرون إلى الشرقِ والإسلامِ نظرةً استعلائية، وقد ساق إدوارد سعيد[3] الشواهدَ العديدة لذلك في كتابه الشهير «الاستشراق».

٣- التنصير: وعلى الرغم من أن الأممَ النصرانية تبتعدُ عن النصرانية، وعلى الرغم من بيعهم للكنائس في ديارهم، إلا أنهم حريصون على تنصيرِ المسلمين، وبناءِ الكنائس في ديارنا، وقد رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات، وأرسلوا البعثاتِ التنصيريةَ مجهزةً بكل ما يمكنُ أن يحقق الهدفَ الذي قامت من أجله، وعلى الرغم من الصعاب التي تقفُ في طريقهم، إلا أنهم ماضون في هذا الطريق، وهم يصطادون المسلمين الجهلة، وينشبون أنيابَهم في فقراءِ المسلمين، حيث يقدمون لهم بعضَ ما يحتاجون إليه مقابلَ تركهم لدينهم وعقيدتهم[4]، بينما نجد العكسَ فيمن يُسلم من الغربيين، حيث يسلم المتعلمون والمفكرون.

وأهم وسائل التنصير: التعليم والصحة والإعلام واستغلال الكوارث

---

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، (ص: ٢١٢).

(٢) مصطلح «الشرق الأوسط» مصطلح غربي لطمس الهوية العربية والإسلامية ولإدخال إسرائيل فيه.

(٣) مفكر فلسطيني الأصل، أمريكي الجنسية، نصراني الديانة، فضح في كتاباته الاستعلاء الغربي، توفي سنة ١٤٢٤هـ.

(٤) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٦٣-٦٤).

والحروب والفقر.

٤- **تشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية**: وذلك بإقصاء الإسلام من شتى شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.

٥- **محاربة الدعوة الإسلامية**: حيث استغلَّ الأعداءُ بعضَ الهجمات الإرهابية لمحاربةِ الدعوةِ الإسلامية لا سيما الجمعياتِ الخيريةَ الإسلاميةَ والزجَّ بها في تلك الأحداث واتهامها بدعم الإرهاب مع عدم ثبوت ما يدينهم.

٦- **التغريب والعولمة الثقافية**: وهي باختصارٍ فرضُ الثقافة الغربية عن طريقِ المنظماتِ والمؤتمراتِ الدوليةِ ووسائل الإعلام المختلفة.

وإن كان للعولمة -بشكل عام- وجوهًا مفيدة في التقنيةِ والاتصالِ، والتعارف والمعلومات؛ فإن لها جوانبَ خطيرةً في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

ويهمنا هنا ما يؤثر على الثقافةِ الإسلامية بدرجةٍ كبيرة وهو الهيمنةُ الثقافية وفرضُ القيمِ الغربية وتغريبُ المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية.

ونجد أن الغربَ لا يسعى لنشرِ قيمه الاجتماعية فحسب على الرغم من عدم الاقتناع الواسع بها قيمًا، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥م، مؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، ومؤتمر اسطنبول عام ١٩٩٦م، ثم مؤتمر نيويورك عام ١٩٩٩م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضًا عام ٢٠٠٠م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول

الأسرةِ والمرأةِ والطفلِ، مركزًا على الحقوقِ الجنسيةِ، والحقِّ في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث.. إلخ، وكلُّ هذا من منظورِ الثقافةِ الغربيةِ العلمانية المادية الإباحية[١] التي تُبيحُ الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات.

وفي الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان جاء الحديث عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالةُ الرفاهيةِ البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون الأفراد (لاحظ تعبير الأفراد) من جميع الأعمار أزواجًا وأفرادًا (كذا) فتيانًا وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتعِ بحياةٍ جنسية مُرْضيةٍ ومأمونة (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) هي كالغذاء، حقٌّ للجميع، ينبغي أن تسعى جميعُ البلدان لتوفيره في أسرعِ وقتٍ ممكن، في موعدٍ لا يتجاوز عام ٢٠١٥م. أي أنه أكثرُ من مباح، فالسعيُّ لتحقيقه بجميعِ البلدان في أسرع وقتٍ ممكن، وقبل سنة ٢٠١٥م، واجبٌ على جميع البلدان، بل ولا تكتفي هذه الوثيقةُ بذلك، وإنما تتجاوزُ هذه الإباحيةَ حيث تدعو للتدريبِ والترويجِ والتعزيزِ لهذا السلوك الجنسيِّ المأمون والمسؤول[٢].

وها هو المستشرق الألماني «هاملتون جب» يجعل هدفَ كتابه «وجهة الإسلام» قضيةَ التغريب، ويتساءل إلى أيِّ حد وصلت حركةُ تغريبِ الشرق؟ وما هي العواملُ التي تَحولُ دون تحقيقِ هذا الهدف؟[٣].

---

(١) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (ص: ٢٧).

(٢) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة ٥-١٥/ ٩/ ١٩٩٤م، الترجمة العربية الرسمية، الفصل الثامن الفقرات ٣١-٣٥. نقلًا عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، (ص: ٢٧).

(٣) شبهات التغريب، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ (ص: ١٢).

آثار التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية:

١- تشويهُ الإسلامِ وإثارةُ الشبهات حول القرآنِ الكريم والسنةِ النبوية وعقيدةِ الإسلام وشريعتهِ، وما يحدث الآن من محاولةٍ لربط الإسلامِ بالإرهابِ هو جزءٌ من هذه الحملة.

٢- تفريقُ المسلمين وإزالةُ الوَحْدة الإسلامية والدعوةُ إلى القوميات المتنوعة، وقد كانت الرابطةُ التي تجمعُ الشعوبَ الإسلامية هي الرابطةَ الإسلامية، فشجَّع الغربُ الصليبي الشعوبَ المختلفة على المناداةِ بالقوميات التي تنتسبُ إليها الأممُ المختلفة، فنادى العربُ بالقومية العربية، والأتراكُ بالتركية الطورانية، ونادى الأكرادُ بالكردية، وبذلك تفسخت عُرى الرابطةِ الواحدة التي كانت تجمعُ هذه الأمةَ وتوحدُها، وقد كان ظهورُ هذه الدعوات سببًا في إضعاف الخلافةِ التركيةِ العثمانية وتحطمها.

وقد أغرق دعاةُ الضلالِ في دعوتهم عندما أحيوا الحضاراتِ القديمةَ لإيجاد مزيدٍ من الانقسام والفرقة، فرأينا الدعوةَ إلى الفرعونية، والدعوةَ إلى البابلية، والآشورية.. وغيرها[1].

إن الإسلامَ يشجعُ الوطنيةَ الحقة والقوميةَ الهادفة القائمةَ على التعاونِ على البر والتقوى كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة:٢]، ويحاربُ العصبياتِ والنعراتِ الجاهليةَ المنافيةَ للوحدة الإسلامية وقد قال ﷺ: «مَنْ قُتِل تحت راية عِمِّيَّةٍ، يدعو عصبيةً، أو ينصرُ عصبيةً، فقِتْلَةٌ جاهليةٌ»[2] إن أيَّ وطنية وقومية يجب ألا تتعارضَ مع الوحدة الإسلامية أو تكونَ بديلًا عنها، بل يجب أن

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم (١٨٥٠).

تُسَخَّرَ لجمعِ كلمةِ المسلمين ووحدتهم، والعربُ لم يجتمعوا إلا بالإسلام، وقد أعزهم الله بإنزالِ القرآن الكريم بلغتهم وجعل الحرمين في بلادهم، واختار النبيَّ ﷺ منهم، وقد قال عمرُ ﵁: «نحن قومٌ أعزنا اللهُ بالإسلامِ فمهما ابتغينا العزةَ بغيرِهِ أذلنا الله»(١).

إن الرابطةَ الحقيقيةَ بين المسلمين هي رابطةُ العقيدةِ وجميعُ الروابط الأخرى هي فرعٌ منها مثل رابطِ الجوار والقرابةِ والقبيلةِ والوطن.

٣- الجهل بالإسلام وعقائدِه وأحكامِهِ في كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ وانتشارِ البدعِ والخرافات والمذاهبِ الباطلة كالقاديانية والبهائية وانتشارِ الأفكارِ العَلَمانية المتطرفة والتكفيرية الغالية.

٤- الهزيمةُ النفسية لدى بعضِ المسلمين واهتزازُ الثوابتِ لديهم ونشوءُ طبقةٍ من المثقفين المستغربين المنبهرين بالغرب وثقافاته.

٥- إضعافُ اللغة العربية التي اختارها الله لكتابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف:٢]، وانتشارُ اللهجات المحلية.

٦- إقصاءُ شريعةِ الإسلامِ من الحكمِ وتشجيعُ العَلَمانية في البلاد الإسلامية.

٧- إفسادُ التعليمِ وإضعافُ التعليم الإسلامي: ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة التعليم والدعوة إلى التعليم المختلط(٢).

٨- إفسادُ المرأة: لقد حَرَصَ الكفارُ على هذا، لأن فسادَها يُفسدُ الأبناءَ والأزواجَ، فأخرجوها من بيتها، وهتكوا حجابَها، وزينوا لها التمردَ على دينها

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام عبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ (٢/ ٢٩٠).

(٢) انظر: غزو في الصميم، عبدالرحمن الميداني (ص: ٢٠٠).

بمختلفِ الأساليب، وزعموا أنَّ تحضرَها وتقدمَها لا يكون إلا إذا سارت مسيرةَ المرأة في أوروبا[1]؛ وأفغانستانُ مثالٌ حيٌّ على هذا؛ فعندما احتلوها لم ينقلوا إليها التقدمَ الصناعي والتقني، وإنما بدأوا بإسقاطِ حجابِ المرأة وإنشاءِ دُورِ السينما[2].

هدف عدونا:

إن هدفَ عدوِّنا ذوبانُ شخصيتنا، وذلك بالقضاءِ على مقوماتِ كيانها وعلاماتِ القوة فيها، واحتوائِها بأخلاقِ الضعف والانحلالِ والإباحيةِ حتى لا تقوى على مواجهة التحديات، وذلك أخطر أهدافِ العدو، حيث إخراجُ أجيالٍ ضعيفةٍ لا تؤمنُ بحقِها، ولا تؤمن بربها، ولا تستطيع أن تصمدَ أمام الخطرِ وأمام التحدي[3].

وقد أخبر المولى سبحانه بخطورة طاعة الكافرين والانسياقِ معهم فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠].

وأخيرًا.. إنهم لن يرضوا منا بالتنازلاتِ المحدودة وبعضِ الطاعة ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

* * *

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٦٢-٦٣).

(٢) انظر في ت** بالتحديات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، د. وهبة الزحيلي دار أفكار ٢٠١٠م.

(٣) انظر: شبهات التغريب، (ص: ٦٣).

سبل مواجهة التحديات الثقافية:

سبل مواجهة التحديات الثقافية تأخذ أبعادًا متنوعة منها:

١- تعزيزُ الهوية بأقوى سلاحٍ، وهو العودةُ إلى الإسلامِ، وتربيةُ الأمةِ عليه بعقيدتهِ القائمةِ على توحيدِ الله سبحانه، والتي تجعلُ المسلمَ في عزةٍ معنويةٍ عاليةٍ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمهِ الروحية، وتقويةِ الصلة بالله سبحانه وتعالى واليقينِ بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وقاموا بأسبابِ النصر، فالهزيمةُ الحقيقية هي الهزيمةُ النفسية من الداخلِ حيث يتشربُ المنهزمُ كلَّ ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عُززت الهويةُ ولم تستسلم من الداخل فإنها تَستعصي ولا تقبل الذوبان.

٢- العنايةُ بثقافتنا الإسلامية وباللغةِ العربية في وسائلِ الإعلام ومناهجِ التعليم، وتسهيلُ تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيلُ التعريب والترجمة والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدودِ الحاجة اللازمة.

٣- إبرازُ خصائصِ الإسلام وعالميته وعدالتهِ وحضارتهِ وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم.

٤- العملُ على نهوض الأمةِ في شتى الميادين دينيًا وثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا وتقنيًا، ومحاربةُ أسبابِ التخلف والفساد، وعلينا أن نغيرَ ما بأنفسنا من تخلفٍ وتقاعس، فإن من سنن الله سبحانه وتعالى سنةَ التغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

٥- مواجهةُ التحدياتِ بالتعليمِ والتدريبِ والتثقيف والتحصين ورفع الكفاءة وزيادةِ الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

٦- تقليصُ الخلافاتِ بين المسلمين حكوماتٍ وشعوبًا وجماعاتٍ بالاعتصام بكتاب الله ﷻ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]. ثم التعامل معها إن وجدت بثقافةٍ إيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداءُ ثغرةً من خلالها.

٧- ضمانُ الحرية الثقافيةِ وتدعيمُها، حيث إن حريةَ الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالةِ في توزيعِ الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عاملٌ أساسي في إغناءِ الحياة الثقافية وزيادةِ عطائها. ولكن لا يجوز فهمُ الحريةِ على أنها فتحٌ للباب أمام كل تعبيرٍ، وقبولِ كلِّ فكرٍ، ولكنَّ الحريةَ المقصودةَ هي الحريةُ المنضبطةُ بضوابطِ الشرع(١).

٨- أن تقومَ وسائلُ الإعلام بواجباتها في الحفاظِ على الهويةِ ودعمِها، بدلًا من استيرادِ البرامج التي تهدمُ الهويةَ دون نظرٍ أو تمحيصٍ؛ كما أن على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغطَ على وسائلِ الإعلام الخاصةِ كلٌّ بما يستطيعُ لمراعاة هويةِ الأمة وقيمِها.

٩- أن يقومَ التعليمُ بتعزيزِ الهوية وكشفِ سلبياتِ العولمة والتغريب، ويتحتم على الإعلام التربوي استخدامُ كافةِ الوسائل والأساليبِ والطرق المتاحة كي ينجحَ في تأصيلِ القيم والمهاراتِ والمعارفِ والمعلوماتِ في مؤسسات المجتمعِ ومنظماته، وتحصينِ الأطفال ضدَّ ثقافةِ الاستهلاك والتغريب، وتقديمِ مادةٍ غنية ثرية تُحدثُ أثرًا إيجابيًا، وتترك صدى قويًا في نفسيةِ التلاميذِ صغارًا وشبابًا وتساعد على اكتشافِ ما يملكون من طاقاتٍ ومهارات(٢).

---

(١) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، (ص: ٢٦٣).

(٢) مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، (ص: ٣٠).

١٠- تنشيطُ التفاعل والحوارِ الثقافي الإسلامي مع ثقافاتِ الأمم الأخرى[١]، وأن نتعرفَ على الآخرين وثقافاتهم، والكشفِ عن مواطنِ القوة والضعفِ في الثقافاتِ المختلفة لا سيما الغربية، ودراسةِ سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية متفتحة، للاستفادة من إيجابياتها[٢]، وأن نُثريَ ثقافتَنا العربيةَ الإسلاميةَ بما نراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نُعرّف تلك الثقافاتِ العالميةَ بما لنا من عقيدةٍ وقيمٍ وتراثٍ وتقاليدَ اجتماعيةٍ عريقةٍ[٣]، وأن يواكبَ ذلك عمليةٌ أخرى هي عمليةُ التخلصِ من الإحساسِ بمركزية الغربِ ونزعِ صفةِ العالمية والعِلْمية والمطلقية عن حضارته[٤].

١١- تشجيعُ المؤسسات الخيرية والدعوية داخلَ البلاد الإسلامية وخارجَها على ممارسةِ عملها ودعمِها بكل طريق ماديًا ومعنويًا، وعدمُ السقوط في فخ الأعداء بتصيدِ أخطائها وتشويه سمعتها عند حدوثِ خطأٍ ما، وإنما بالنصيحةِ الإيجابيةِ الفاعلةِ، وما نراه بفضل الله تعالى من مؤسساتٍ إسلاميةٍ ودعوية مساعدة للمسلمين للحفاظ على هويتهم لا سيما خارج الدول الإسلامية، سواء كانت مراكز أو مدارس إسلامية أو وسائلَ إعلامية، كمواقع الإنترنت وشركاتِ الإنتاج الإعلامي الإسلامي أو إذاعاتِ القرآن الكريم، أو مكاتبَ دعوةِ الجاليات التي تميزت بها المملكة العربية السعودية والتي تثمرُ دخولَ آلافِ المسلمين الجدد كلَّ عامٍ، أو مدارسَ وجمعياتِ تحفيظ القرآن الكريم، إلى غير ذلك من المؤسسات التي تُسهمُ ضدَّ التحدياتِ الثقافية، لذا لا نعجب من أن تكونَ هذه المؤسسات

---

(١) العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، (ص: ١٢٦).
(٢) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، (ص: ٢٥١).
(٣) انظر: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، (ص: ٢٥١).
(٤) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، القاهرة - مصر، فبراير ٢٠٠١م، (ص: ٢٥٣-٢٥٤).

الخيرية أحدَ استهدافاتِ الأعداء، ومحاولة رميها بالإرهاب بكل طريق ومحاربة أنشطتها وتشويه سمعتها وتجفيف مواردها[1].

***

(١) انظر: كتاب القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية، د. محمد بن عبدالله السلومي، كتاب البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (ص: ٢٠٩).

موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى

تتقاسم العالمَ ثقافاتٌ مختلفةٌ، تمتد كلٌّ منها في مناطقَ كبيرةٍ من العالم، وقد سيطرت الثقافةُ الغربية في هذا العصر على بقية الثقافات، نظرًا لأنها مدعومةٌ عسكريًّا وإعلاميًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، لذا سيكونُ التركيزُ في بيانِ الموقفِ منها بسبب ذلك، وهناك عدةُ اتجاهات في الموقف منها، وهي:

١- **الاتجاه السلبي**: يرى أتباعُهُ عدمَ الأخذِ أو الاتصالِ بأيٍّ من الثقافة والحضارة الغربية، وعدمَ الاستفادةِ من كل ما انبثق عنها من منافعَ في مختلفِ المجالات، يرفضون الثقافةَ الغربية، لأنهم ينظرون لسلبياتها وما تحمله من أمراضٍ لذا جاء الرفضُ لها ككل، وهذا الموقفُ لا يتناسبُ مع الأصولِ الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الإفادةِ من كلِّ شيءٍ لا يصادمُ أصولَ الإسلام؛ لأنّ الحكمةَ ضالةُ المؤمن فحيث وجدها فهو أحقُّ بها.

٢- **الاتجاه التغريبي**: يدعو أصحابُهُ إلى الأخذِ بكلِّ أسبابِ الثقافة والحضارة الغربية، مقبلا على كلِّ معطياتها خيرِها، وشرها، من علمٍ، وصناعة، وثقافة، وحتى أسلوبَ الحياةِ؛ لأنهم يرون أنّ الثقافة كلٌّ لا يتجزأ، إما أنْ تؤخذَ كلُّها أو تتركَ كلُّها. ويكثر هذا الاتجاه لدى العلمانيين أمثال طه حسين وغيره والحداثيين.

٣- **الاتجاه التوفيقي**: يرى أتباعُهُ التوفيقَ بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وفي حالِ حدوثِ تعارضٍ، يرون أنّه لابد من تقريبِ بعضِ مبادئ الإسلام التي تتعارضُ مع حضارة الغرب وثقافته، وتطويرُ تلك المبادئ حتى تواكبَ حضارةَ الغرب.

انطلق هذا الاتجاه من الحاجةِ الماسة لمواجهةِ كثيرٍ من القضايا المستجدة، لكنه انتهى إلى المطالبةِ بالنظرِ في التشريعِ الإسلاميِّ كلِّه، والقيام بمحاولةِ التوفيقِ

بين الثقافة الإسلامية والغربية من خلالِ الدعوة إلى تقريبِ المبادئ بينهما، وتطويرِ الإسلام ليتناسبَ مع معطياتِ الثقافة الغربية، مع الميلِ إلى تبني الثقافةِ الغربية، والبحثِ عن الأدلةِ المؤيدة لذلك من أقوالِ العلماء والمفكرين المسلمين بحجة أنَّ مصالحَ المسلمين تتطلبُ هذا التطوير، وفي هذا مَسْخٌ للإسلامِ وتشريعاتِه، وتشويشٌ على المسلمين مع تفريقِ وحدتهم.

٤- **الاتجاه المعتدل:** يرى أتباعُهُ أن يحتفظَ المسلمون بإسلامِهم وثقافتهم المتمثلةِ في الكتابِ والسنةِ، مع الوقوفِ عند حدودِ الفكرِ الإسلامي الأصيل، مع الإفادة من خيرِ ما أفادت منه المدنيةُ الغربيةُ في شتى المجالاتِ من العلوم التجريبية، فيرون أَخْذَ المناسبِ من الحضارة الغربية، وتَرْكَ ما لا يناسبُ منها؛ لأنّ الحكمةَ ضالةُ المؤمن يأخذها من كلِّ أحدٍ ما لم تعارضْ ثقافته[1].

وهذا الاتجاهُ الأخيرُ هو الاتجاهُ الصحيحُ الذي يحاولُ الوقوفَ في وجهِ تحدياتِ الثقافةِ الغربية مع الاستفادةِ من المفيد فيها.

هذه المواقفُ الأربعةُ بتوجهاتها المختلفة، أثّرت في المجتمعِ الإسلامي بصورةٍ لا يمكن تجاهلُها؛ لأنها أدتْ إلى اضطراباتٍ سياسية، وتصدُّعات اجتماعية، وصراعاتٍ داخلية، أنهكت الأمةَ، ومزقت شملَها، وأحدثت الفرقةَ بين صفوفها، مما ساعد كثيرًا على تغلغلِ الفكر والثقافةِ الغربية بطريقةٍ قوّت حِدَّةَ التناقضِ في الحياة العمليّة والمعنوية، نتيجةً للتناقضِ الحاد بين المواقفِ والأفكارِ المحيطة بالفردِ المسلم، الذي وقع أسيرًا لها، والوهنِ العقدي، والفوضى الفكرية، والتخبطِ السلوكي.

---

(١) انظر الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر (ص:٣٨)، ومدخل إلى الثقافة الإسلامية (ص:٣٨).

الحوار بين الحضارات

أولاً: الإسلام دين الحوار:

الحوارُ منهجٌ قرآني، فقد كلَّمَ اللهُ ملائكته واستمع منهم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠].

وكذلك رسلَه ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، وحتى مع الكافرين ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٥-١٢٦].

وحتى مع إبليس ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

والقرآنُ مليءٌ بمحاوراتِ الرسل مع أقوامِهم ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

وتأملْ حوارَ إبراهيم عليه السلام مع مدعي الربوبية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وحوارَ موسى مع فرعون مدعي الألوهية والربوبية في سُوَرٍ عديدةٍ في القرآن، وكذلك بقيةِ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه حيث يحاورون أقوامَهم بالحكمةِ لدعوتهم إلى الله وبيانِ الحق لهم والردِّ على شبهاتهم.

وهذا القرآنُ يحكي حوارَ النبيِّ ﷺ مع امرأة ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

وحضارتُنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارةُ الحوار فقد حاور علماء المسلمين كافةَ أهلِ الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير[١].

ثانيًا: أهم أهداف الحوار في الإسلام:

١- الدعوةُ إلى الإسلام، وعبادةِ الله وحده لا شريك له: وهذا أسمى هدف ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣].

ويدخل في ذلك إبرازُ محاسنِ الإسلام والردُّ على شبهات أعدائه وإيضاحُ الحقيقة العظيمة في الحكمةِ من خلقِ البشر وما يُراد منهم وما يراد بهم وما مصيرهم.

فالحوارُ مطلبٌ إسلامي لكي نقومَ بواجبنا تجاه الأممِ الأخرى ليس لإفادة أنفسنا فحسب بل لفائدةِ الأمم الأخرى أيضًا لنوصل إليها الخير الذي أمرنا به.

فالأمةُ الإسلامية هي صاحبةُ الرسالة الأخيرة، وعليها واجبُ البلاغ، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

٢- تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض: وهي الخلافةُ وعمارةُ الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠][٢].

---

(١) انظر: موقف الإسلام من الحضارات الأخرى، د. محمد نورد شان، بحث مقدم إلى ندوة الإسلام وحوار الحضارات، غير منشور، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض- السعودية، محرم ١٤٢٣هـ (ص:٦).

(٢) انظر: مدخل إسلامي لحوار الحضارات، ص(١١-١٢).

٣- تبادل العلوم النافعة: وحلُّ الإشكالات القائمة والتعاونُ على الخير ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

أهداف باطلة من الحوار:

١- موالاةُ الكفار ومودتُهم من دون المؤمنين، فقد جاءت النصوص القطعية في النهي عن ذلك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٢- التنازلُ عن شيءٍ من ثوابتنا العقدية أو الشرعية، أو المشاركةُ في الدعوات المغرضة لوحدةِ الأديان التي تساوي الإسلامَ بغيره وخلطِ الحق بالباطل، أو مشاركة الكفار في باطلهم، وقد نهى الله نبيه عن ذلك فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦]، وقال أيضًا: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩].

ثالثًا: آداب الحوار:

من أهم آداب الحوار:

١- حسنُ القَصْدِ من الحوار: وذلك بالإخلاصِ لله والرغبةِ في طلبِ الحق، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥].

٢- العلم: فلا حوارَ بلا علمٍ، والمُحَاوِرُ الجاهلُ يفسدُ أكثرَ مما يصلح، وقد ذم اللهُ سبحانه وتعالى المجادلَ بغيرِ علمٍ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج:٨].

العلم عام في كافة مواضعِ الحوار، فيشمل العلمَ بالإسلام وعقيدته وحضارته

والعلم بالمحاورين وخلفياتهم وكافة ما يحتاج إليه في الحوار.

فالمُحَاوِر المسلم داع إلى الله يجبُ أن تكونَ دعوتُهُ بعلم وبصيرة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨].

فالعلمُ بالإسلامِ وحضارتهِ وشبهاتِ المخالفين في غايةِ الأهمية في حوارِ غير المسلمين لإقناعهم ورد شبهاتهم، فضلًا عن عدمِ الانخداع والتأثر بها.

٣- التزامُ القولِ الحسن، وتجنبُ منهج التحدي والإفحام: حيث إن أهمَّ ما يتوجه إليه المُحَاوِر التزامُ الحسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:٥٣]، ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥][1].

وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن أسلوبِ الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

٤- التواضعُ واللِّين والرفق من المُحَاوِر وحسنُ الاستماع وعدمُ المقاطعة والعناية بما يقوله المُحَاور: فهو أدعى للوصول إلى الحقيقةِ واستمرارِ الحوار، وهذا ما علمناه القرآن، فقد أمر الله نبيَّه موسى وأخاه هارون عليهما السلام عند مخاطبة فرعون الذي طغى وتجبر وادعى الألوهيةَ والربوبيةَ، فقال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:٤٤].

٥- الحلمُ والصبرُ: فالمُحَاور يجب أن يكونَ حليمًا صبورًا، فلا يغضبُ لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النُّفرةِ منه والابتعاد عنه، والغضبُ لا يوصل إلى إقناعِ الخَصْمِ وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلمُ من صفاتِ المؤمنين قال

---

(١) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، (ص: ١٣).

تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. وعندما قال رجلٌ للنبي ﷺ أوصني، قال: «لا تغضب»[1] وكررها مرارًا.

ومن أعلى مراتبِ الصبر والحلم مقابلةُ الإساءةِ بالإحسانِ، فإن ذلك له أثرهُ العظيم على المُحاور، وكثيرٌ من الذين اهتدوا لم يهتدوا لعلمِ المُحَاوِر واستخدامِهِ أساليبَ الجدل، وإنما لأدبه وحسنِ خلقه واحتمالِه للأذى ومقابلته بالإحسان، وقد نبه الله ﷻ الداعين إليه إلى ذلك الخلقِ الرفيع وأثره وفضل أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

٦- **العدلُ والإنصاف**؛ يجب على المحاور أن يكونَ منصفًا فلا يرد حقًا، بل عليه أن يبديَ إعجابُه بالأفكارِ الصحيحةِ والأدلةِ الجيدة والمعلومات الجديدة التي يُوردها محاورُهُ وهذا الإنصاف له أثرهُ العظيمُ لقبولِ الحق، كما تضفي على المحاورِ رُوحَ الموضوعية.

والتعصبُ وعدمُ قبولِ الحقِّ من الصفات الذميمة في كتاب الله فإن الله أمرنا بالإنصاف حتى مع الأعداء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

والإسلامُ ينطلقُ في الحوارِ من التكافؤ بين البشرِ لا تفاضلَ لِعرقٍ كما حكى الله عن اليهود قولَهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، أو لونٍ كما يدعي

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٥٧٦٥).

العنصريون البيض في أوروبا، أو طبقيةٍ كما هي عند الهندوس، وإنما بصلاحهم، ولنتأمل آيةً قرآنية مفتتحة بالمبدأ ومقررة وجودَ الاختلاف ومبينةً أهميةَ التعارف وخاتمة بميزان التفضيل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣].

وهذا الاختلاف من آياته سبحانه ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

فالإسلام يقررُ أن الاختلافَ حقيقةٌ إنسانية طبيعية ويتعامل معها على هذا الأساس ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة:٤٨].

فوجودُ الاختلاف أمرٌ واقع وله حِكَمٌ إلهية ويجب التعايشُ وفق ما أمر الله من الدعوة والنصيحة[1].

وأخيرًا هذه نظرتنا للحوار والاختلاف، ولكن عندما ننظر إلى الواقعِ ودعواتِ الحوار الصادرة من الغرب لنا أن نتساءل: كيف يؤتي الحوارُ ثماره في العالم اليوم بين الشرق والغرب أو بين الشمال والجنوب وهو يصاحبُ الهيمنةَ والاستعلاءَ، والظلمَ والجَوْرَ، والاحتلالَ ولغةَ السلاح[2].

أيُّ حوارٍ ينادي به الغربُ مع هذا العدوانِ والظلمِ ولغةِ الاستعلاء، وفرض المصطلحات واستغلال التفوق الإعلامي لتشويه الآخرين.

كيف نثق بهذا الحوارِ الذي يهدفُ إلى نمطٍ جديد من الدبلوماسية لتكريس

---

(١) انظر: مجلة المعرفة، العدد ١٠١ شعبان ١٤٢٤هـ موضوع قيم الإسلام، الحوار الانفتاح على العالم، ص: (١٨-٢٦).

(٢) انظر: من أجل حوار بين الحضارات، (ص:٩).

الظلمِ ومصالحَ تتعلقُ بالاقتصاد والسياسة ومواصلةِ الحرب والصراع والاحتلال.

إن الغربَ مطلوبٌ منه قبل أن يتحدث عن الحوار ونشر الديموقراطية (والشرق الأوسط الكبير) إن كان يريد خيرًا بالآخرين يجب تخفيفُ الهوّةِ السحيقة بين البلدان الغنيةِ والفقيرة، وعليه مساعدةُ البلدان على التنميةِ لا توريطها في الديونِ والفقر، وفرضِ الإملاءات عليها، ومساعدة البلدان التي خربتها الحروبُ كالصومال وأفغانستان وغيرها على إنهاء ذلك الوضع، بل أنْ تكفَّ يدَها عن إشعالِ الفتن في تلك البلدان.

بعد ذلك يُقال أننا نرفضُ الحوارَ والتسامح؛ ومن يتهمنا بذلك؟ إنه المستعلي الظالمُ المحتل لأرضنا والساعي لتشويه ديننا وثقافتنا، ومع ذلك فلا نزال نقولُ إننا مع دفاعنا عن ديننا وثقافتنا وأرضنا وأنفسنا فإننا نرى أنَّ الحوارَ هو خيارٌ مهم لتحقيق أهدافنا العليا القائمة لمصلحة البشرية.

رابعًا: السنن الإلهية المتعلقة بالحضارات[1]:

يبينُ الله تعالى في آياتٍ كثيرات من القرآن الكريم أنه سبحانه قد خلق هذا الكونَ وفق منهجٍ سننيٍّ مطرد، وأنه قد أخضع كل أمر فيه لسنة (= قانون) لا تتبدل ولا تتحولُ وأن هذه السننَ لا تسري فحسب على المخلوقاتِ المادية، بل تسري كذلك على حياةِ الأمم والأفراد، ولهذا نجدُ القرآنَ الكريم يوجهنا مرارًا وتكرارًا للنظر في قصص الأممِ الغابرة لاستنباطِ تلك السنن التي على أساسها تنهضُ الأمم أو تنحط أو تبيد! ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم:٤٢] وذلك لأن التاريخ -بمنظور القرآن الكريم- هو المختبرُ الحقيقي لصوابِ الفعل البشري، ومن ثم فإن العودةَ

---

(١) http://www.drkanaan.com/forums/archive/index.php?t-٥١١.html

إلى صفحاتِ التاريخ وفهمَ سننِ الوجود الاجتماعي يُكسبُنا القدرةَ على تسخير هذه السنن في بناءِ المجتمع الفاضل الذي يعيد هذه الأمةَ إلى موقع الشهادةِ على العالمين، كلما أراد لها ربُّ العزة سبحانه حيث قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣].

ومن هذا المنطلق فقد بينت آياتٌ عديدة من القرآن الكريم سننَ المعادلة الحضارية التي لا تتخلَّف، والتي تحكمُ مصائرَ البشر على اختلافهم وتنوعهم، ومن هذه السنن:

١- سنة التدافع الحضاري: وهي التي بينها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة:٢٥١]، فقد اقتضت حكمةُ الخالق ﷻ أن يكونَ بين البشرِ نوعٌ من التدافع يمنع استئثارَ طائفةٍ من البشر بمصيرِ البشرية كلِّها إلى نهايةِ التاريخ، وسنةُ التدافع هذه ماضيةٌ إلى يوم القيامة باعتبارها سنةٌ مطردة، وليس كما زعم المفكر الأمريكي (هتنغتون) وأضرابه من أن الصراعَ على وشْكِ التوقف، وأن السلامَ العالميَّ لن يلبث أن ينشرَ جناحيه على العالم! نعم قد تهدأُ حدةُ الصراع حينًا من الزمان حتى ليخيلَ إليك أن البشريةَ قد بلغت أخيرًا سنَّ الرشدِ وآمنت بأن (الصلح خير!) إلا أن النظرةَ المدققة في صفحاتِ التاريخ تُنْبيك أنَّ مرحلةَ السلامِ ما هي إلا وقفةٌ عابرةٌ كاستراحةِ المحاربِ بين جولتين.

٢- سنة التداول الحضاري: وقد بينها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٤٠]، فليسَ لأمةٍ من أمم الأرض أن تستأثرَ بمِشْعلِ الحضارة حتى آخر الزمان، وقد تناوبت على حملِ هذا المشعل حتى الآن أمم كثيرة جدًّا، ذكر منها المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي) في موسوعته القيمة

(دراسة في التاريخ) أكثر من (٦٥٠ أمة) ثم تخلت عنها لتسلّمها إلى غيرها، وهكذا هي سنة الله في خلقه، ومن ثم فإن الزعمَ بنهايةِ التاريخ عند نموذج حضاري بعينه كما فعل (فوكوياما) وقرينه (هتنغتون) ما هو إلا من قبيل (التسويق) الفاشل لبضاعة لن تجد لها بعد حينٍ قصيرٍ من الزمان من يشتريها! وليس انهيارُ حلم الحضارة (الاشتراكية) عنا ببعيد!

٣- سنة الهلاك أو التدهور: وهي سنةٌ جارية لن ينجوَ من قبضتها أيٌّ من أمم الأرض حتى المؤمنة منها، لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨] فليس لأمةٍ مهما أوتيت من جبروت سياسي أو تقدم تقني أو إنجاز علمي أن تبقى في القمةِ حتى آخر الزمان، بل الكلُّ إلى انحدارٍ أو هلاك أو عذابٍ مدمر قبل يوم القيامة! ومن أبلغ دروس التاريخ أن الانهيارَ غالبًا ما يجيءُ وأهلُ الحضارة في قمة النشوة، كما بين الله ﷻ في كتابه العزيز حيث يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤]، فإذا ظنت الأمةُ أنها قد بلغت أَوْجَ مجدِها، وأنها قد ملكت زمامَ الأمورِ جاءها أمرُ الله لينحيَها عن دَفّة القيادة، وحلَّ في ديارها الخرابُ والدمارُ، وهذه أيضًا سنةٌ جارية مطردة من سننِ الله في الخلق نجد شواهدَها في صفحاتِ التاريخِ، وفي أطلالِ الحضاراتِ البائدةِ التي تملأُ الأرضَ!

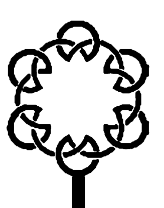
٤- سنة أن التطور الحضاري متاح للجميع: فليس التقدم الحضاري حكرًا على أمةٍ من أمم الأرض دون غيرها كما زعمت بعضُ النظريات العنصرية (النازية مثلًا) وكما يزعم اليومَ دعاةُ الغرب الذين يعتقدون أن التاريخَ قد انتهى

عند نموذجهم الليبرالي، والحضارة أيضًا ليست حكرًا على المؤمنين دون الكافرين كما يخيلُ لبعضهم فيظنون أنهم (شعب الله المختار!) أو أنهم (أولياء الله وأحباؤه!) وفي هذا يقول تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:٢٠]، ومن ثم فإنَّ الحالةَ الحضاريةَ قد تقومُ على قيم إيمانية وأسسٍ أخلاقية، وقد تقومُ على قيمٍ وأسس غيرِ هذه كما هي حالُ الحضارةِ الغربية اليوم!

وهكذا نجد أن الحضارةَ الغربيةَ السائدة اليوم، والتي يروج (بعضُهم!؟) لنموذجها مدعيًا أنها النموذجُ الجديرُ بالاقتداء، وأن التطورَ البشريَّ قد وقف عندها باعتبارها قد بلغت القمة، لا تخرج عن سننِ الله في خلقه، وأنها تندرج في إطارِ تلك السنن، وأنها ليست سوى مرحلةٍ من مراحلِ التاريخ، وسوف يجيء يوم قريب أو بعيدٌ فيطويها التاريخُ في قبضته التي لا ترحم ويحولها إلى مجرد ذكرى في سجلاته التي علاها الغبار! ومن يدري.. فقد تغيبُ حتى عن ذاكرةِ التاريخ نفسه فلا يعودُ يَذْكرُ من أطلالها شيئًا كما فعلَ مع كثيرٍ من الحضارات التي بادت واندرست ولم تحفظ لنا سجلاتُ التاريخ عنها شيئًا! فهل من مدّكر؟![1].

***

(١) انظر السنن الإلهية الكونية والاجتماعية لمحمد عمارة دار السلام للطباعة والنشر ٢٠٠٩.
مدونة السنن الكونية الإلكترونية دراسة السنن الإلهية وأثرها لـ أبو مريم محمد الجريلتي.
سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأهيلية، د. بكار محمود الحاج الطبعة الأولى ١٤٣٣، دار السنوادر.



ثانيًا: الخصائص العامة للإسلام

- **المدخل وفيه:**
  - المراد بالخصائص.
  - تعريف الإسلام.
  - المناهج الموجودة على وجه الأرض.
- **الخصائص العامة:**
  - الخصيصة الأولى: دين إلهي.
  - الخصيصة الثانية: دين شامل.
  - الخصيصة الثالثة: دين الفطرة.
  - الخصيصة الرابعة: الوسطية.
  - الخصيصة الخامسة: دين العلم.
  - الخصيصة السادسة: دين الأخلاق.

الخصائص العامة للإسلام

الخصائص[1]:

الميزاتُ والصفاتُ التي ينفرد بها دينُ الإسلامِ عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

وأما الإسلام: فهو الاستسلامُ لله بالتوحيدِ والانقيادُ له بالطاعةِ والبراءةُ من الشرك وأهلِهِ.

الإسلامُ هو الدينُ الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين وأخبر سبحانه أنه لا يقبل من أحدٍ سواه، فقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقد عرفه النبيُّ ﷺ في حديثِ جبريل عليه السلام وفيه أركانُ الإسلام حيث سأله فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ[2].

ولا شكَّ أن دينَ الإسلام هو الدينُ الحق المنزلُ من عند الله تعالى، وهو منهجُ الحياةِ المتكاملِ القائمِ على ما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من

---

(١) لسان العرب: مادة «خصص». (٧/ ٢٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... رقم(١٠).

بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وما ثبت من سنة نبي الهدى ﷺ، وذلك خلافًا لما سواه من المناهج والأديان الأخرى، ولعل عَرْضًا عامًّا لتلكم المناهجِ القائمةِ بين الناس على هذه البسيطة يُجَلِّي الصورةَ ويوضِحُها.

المناهج الموجودة على وجه الأرض:

إن النظمَ القائمةَ كلَّها -عدا دين الله تعالى الإسلام- لا تخرجُ عن أحدِ هذه الأصناف الثلاثة[1]:

الأول: منهجٌ ديني محرَّف، فهو إلهيٌّ في الأصل، وله كتابٌ سماوي من عند الله ﷻ، ولكن دخله التحريفُ والتبديل، والحذفُ والزيادة، فاختلط فيه كلامُ الله تعالى بكلامِ البشر وأهوائهم، ومثاله: **اليهودية[2] والنصرانية[3]**.

الثاني: منهج دينيٌّ بشري، فهو ديني لأنَّ فيه القيامَ بأداءِ طقوس تَعَبدٍ وتألهٍ يؤديها الإنسانُ لمألوهٍ أو لعددٍ من الآلهة؛ من بشرٍ وحجرٍ ومالٍ وهوى وشهوةٍ وغير ذلك، وقد لا يكونُ فيها صلاحُ حالِ هذا الإنسان ولا تنظيمُ حياته؛ وإنما طقوسٌ غامضة أو مُرْعبة.

---

(1) انظر نحو ذلك في: مدخل لمعرفة الإسلام (136). والخصائص العامة للإسلام (38).

(2) اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه الصلاة والسلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه الصلاة والسلام مؤيدًا بالتوراة ليكون لهم نبيًّا، وبيَّن الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم أنهم حرّفوا وبدّلوا كلام الله تعالى. انظر الموسوعة الميسرة: (1/ 500).

(3) النصرانية: هي الرسالة التي أنزلت على نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، مكملة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، وقد تعرض الإنجيل للتحريف والتبديل كما ذكر الله تعالى ذلك في القرآن العظيم، وامتزجت النصرانية بمعتقدات وفلسفات وثنية. انظر الموسوعة الميسرة: (2/ 574).

وهو دينٌ بشريٌّ لأنه من صنع البشر، فليس له أصلٌ من عند الله تعالى، ومن أمثلة ذلك: الهندوسية[١]، البوذية[٢]، عبادة الشيطان[٣]، عبادة الأصنام، وغيرها.

الثالث: منهج مَدَنيٌّ بشري خالص. فهو مدني لأنه نظامُ حياةٍ دنيوية؛ يُعنى بتنظيمِ حياةِ الإنسانِ الدنيوية وتحقيقِ مصالحه وفقَ ضوابطَ وقيودٍ دنيوية، وبَشَريٌّ لأن مصدره البشر، أفرادًا أو جماعات، فهو نتاجُ تفكيرِ الإنسانِ واجتهادِهِ وتنظيرِه، ومن أمثلة ذلك: العلمانية (Secularism)[٤]، الشيوعية[٥]، الرأسمالية[٦]،

(١) الهندوسية: ديانة وثنية، نشأت قرابة القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يعتقدون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يُعبد؛ وهي آلهة كثيرة، وهم إذا أقبلوا على إله من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عنهم كل الآلهة الأخرى، يلتقي الهندوس على تقديس البقرة. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٧٣٤).

(٢) البوذية: هي ديانة الهند في القرن الخامس قبل الميلاد. كانت متوجهة إلى العناية بالإنسان، وفيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. أسسها «سدهارتا جوتاما» الملقب بـ«بوذا» أي العالم المستنير، ولما مات ألَّهه أتباعه، فهم يعتقدون: أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلِّص للبشرية من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٧٦٨).

(٣) عبادة الشيطان: ظهرت في خضم الوضع الشهواني العالمي، وتتمثل قيم هذه الفئة في الضياع وتغليب الممارسات الجنسية والرقص، ولهم كتابهم الديني وهو كتاب «الشيطان»، من تأليف الأمريكي اليهودي ليفي، المؤسس لكنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو، بالولايات المتحدة، وهم يريدون أن تكون الحياة من غير قيود الأخلاقيين، ويرون أنه آن أوان التخلص من الأخلاق؛ لأنها عنصر تعويق وليست عامل دفع وترقية، وهم يرتدون الثياب السوداء، ويرسمون وشم الصليب المعقوف أو نجمة داود على صدورهم وأذرعهم. انظر: عبَّاد الشيطان؛ أخطر الفرق المعاصرة.

(٤) العلمانية وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين، وقد ظهرت في أوربا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، ومدلول العلمانية: عزل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع، وإبقاؤه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٦٨٩).

(٥) الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وانجلز. الموسوعة الميسرة: (٢/ ٩٢٩).

(٦) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها؛ بالبحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب، ويدعو إلى الحرية السياسية والأخلاقية والاجتماعية المطلقة. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٩٢٠).

الوجودية[1]، وغيرها كثير.

هذه هي المناهجُ القائمة بين يدي البشر على وجه الأرض، ويبقى الإسلام وحدَه بصفائه ونقائه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو القادرُ على البقاءِ في خِضَم الصراعات الثقافية والفكرية والحضارية؛ لأنه يمتلكُ خصائصَ تؤهله لذلك، ويكفي وعدُ الله العليم الخبير القوي القادر بأنَّ العاقبةَ للمتقين، يقول جل وعلا: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف:٨-٩][2].

وإنَّ أحداثَ الأيامِ الحالية وما تبع أحداثَ الحادي عشر من سبتمبر من تطوراتٍ واضطرابات في العلاقاتِ العالمية بين الحضارات، لما يحتاجُ لوقفةٍ نرى من خلالها مصداقَ كلام ربنا جل وعلا، ففي الوقتِ الذي تتجه سهامُ الاتهام والتشويه لدينِ الإسلام، من خلال دراساتٍ علمية ونفسية للتعرف على الإسلام، والتعرفِ على الطرق الأكثر أثرًا في تشويهه وتنفيرِ الناس منه، وتبنِّي وسائلَ إعلاميةٍ قويةٍ ومؤثرة مهمةَ القيام بدورِ التنفيذ لنتائجِ تلك الدراسات، بالرغم من كل ذلك يبقى الواقعُ دليلًا على عظمةِ هذا الدين، وقوته المؤثرة في العالمين، فمع كلِّ هذه الجهود الإبليسية ينتشرُ الإسلامُ بشكلٍ أقوى مما هو عليه

---

(١) الوجودية: مذهب فلسفي أدبي ملحد، يرتكز على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة، وأن للإنسان أن يثبت وجوده كما يشاء، فكل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيمًا أو أخلاقًا على الآخرين. فالوجودي الحق هو الذي لا يقبل توجيهًا من الخارج، إنما يسيِّر نفسه بنفسه ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٨٩٨).

(٢) كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].

قبل هذه الأحداث، وهذا نورُ الله، والله تعالى متمٌّ نورِه ولو كره الكافرون(١).

وفي حوارٍ مع المستشرق الأيرلندي الدكتور ألفريد وايزمان -أستاذ الحضارة والعلوم الاجتماعية الذي أصدرَ أهمَّ مجلةٍ استشراقية متخصصة في أوروبا وهي مجلة «حضارة الشرق»، حين سئل عن مستقبلِ الإسلامِ في الغرب، فقال: الإسلامُ دينُ المستقبل، لو أحسن المسلمون عرضه، بسبب وضوحِه الشديد، وعدمِ اصطدامِه بالعلم والحضارةِ والرقي، وإعمالِهِ العقلَ والتفكيرَ، ودعوتِهِ للتطويرِ والارتقاءِ الحضاري، وخلوِّه من التناقضات اللامعقولة.

ففي غَمْرةِ ما تعرض له المسلمون في أميركا بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضي من أذىً معنويٍّ ومضايقاتٍ سياسيةٍ واجتماعية ومالية،... هيأ ما يشبه الصحوةَ في ضميرِ الأميركيين وعقولهم، وإن جاءت متأخرة، في محاولةٍ جادةٍ للتفهُّمِ والتبصر والتأمل بخلفياتِ وبواعث ما حدث ماضيًا وحاضرًا.

ومن المؤشرات البارزة على تلك الصحوة التي ما زالت قائمة إلى اليوم إقبالُ الأميركيين على زيارةِ المساجدِ والمؤسساتِ الدينية والثقافية، واستضافةُ بعض المحطات التلفازية لبعضِ الشخصياتِ الإسلامية والأميركية للحديث عن القضيةِ الفلسطينية والانتفاضة. التي تعرضت إثرَ ذلك إلى انتقاداتٍ عنيفةٍ من قِبَلِ اللوبي الصهيوني.

كذلك التهافتُ الواسعُ على شراء نسخٍ من القرآن الكريم التي نفدت من الأسواق بسبب المنافسة على الشراءِ وغيرها من المؤلفات التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والحضارة الإسلامية.

---

(١) في مجلة الوعي الإسلامي، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، في العدد «٤٩٣»، الصادر في ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.
http://alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=١٣٩&issue=((٤٤٤))

ولئن اختلفت دوافعُ الأميركيين وراء تهافتهم على شراءِ الكتبِ الإسلاميةِ، فإن ذلك -بالتأكيد- سوف يصب في صالح الإسلام.

وفي حوار مع الدكتور فرانسوا بورجا، نشرته مجلة «لافيريتي» الفرنسية، ونشرت مجلةُ المجتمع ترجمةً له؛ قال: طرحتم السؤالَ الأول عن أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وأريد أن أقولَ لكم إن الغربَ استطاع بعد تلك الأحداث مثلًا أن يتعرفَ على الإسلام أكثر مما كان متاحًا في وقت آخر. في فرنسا اعترفت دُورُ النشر الكبيرة أن الكتبَ الأكثرَ رواجًا في السنواتِ الأخيرة هي التي تناولت الإسلامَ، وهذا أسميه اهتمامًا كبيرًا بالإسلامِ ليس في فرنسا بل وفي أوروبا وأمريكا نفسها.

أمريكا نفسُها اعترفت أنَّ مليونَ شخصٍ اعتنقوا الإسلامَ منذ سبتمبر ٢٠٠١ وهو رقمٌ لم تحسِبْ له الأجهزةُ الأمنية الأمريكية حسابًا لأنها لم تتوقعْه، ولكنه حدث، الناسُ صاروا أكثرَ اهتمامًا بالإسلام، وثمة من اعتنق الإسلامَ لأنه وجدَ فيه ما فقده في الحضارةِ الغربية القائمة على المادة[1]، حيث وجدوا فيه الخصائصَ التي لا توجد في أي دين آخر.

***

---

(١) انظر موقع المختار الإسلامي، إشراف الدكتور عوض القرني.
http://www.islamselect.com/php٢/print_art.php?ref=٢٧٩٧١&((rb=٠))

الخصيصة الأولى:

دين إلهي

الإسلامُ دينُ الله ﷻ الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصةُ أعظمُ خصائصه وأُسُّها؛ فما سواها من الخصائص نتيجةٌ لها وثمرةٌ من ثمارها.

دينٌ أنزله اللهُ تعالى على نبينا محمدٍ ﷺ، وتكفَّل بحفظهِ ونَصْرِه وإظهارِه على الدينِ كلِّه.

دينٌ من عند الله تعالى مصدرُهُ القرآنُ العظيم والسنةُ المطهرة الصحيحةُ، القرآنُ كلامُ الله المنزل على رسولهِ محمدٍ ﷺ. وقد حفظه الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

والسنةُ المصدرُ الثاني وحيٌ من عند الله تعالى كما قال جل وعلا عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

وبيَّن الله تعالى مهمةَ النبيِّ محمد ﷺ وهي إبلاغُ دينِ الله إلى الناسِ، فقال جل وعلا: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [العنكبوت:١٨، النور:٥٤].

فهو ﷺ واسطةٌ في إبلاغِ شريعة الله تعالى من الله سبحانه إلى خلقه وبيانها لهم.

والله جل وعلا يقول في آية محكمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

وجانبٌ آخرُ من إلهيةِ هذا الدين؛ فكما أنَّ مصدَره من عند الله تعالى فكذلك غايتُه وهدفُه تحقيقُ مرضاة الله ﷻ والقيامُ بعبادته، فهذه الغايةُ التي من أجلها

خلق الله الجن والإنس، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ولهذه الخصيصة ثمراتٌ منها:

١- **أنه يبينُ الحقائقَ الكبرى التي لا يستطيع الإنسانُ معرفتها إلا بالوحي المعصوم**؛ كمعرفةِ الخالق ﷻ، وصفاتِهِ وأمرِه ونهيه، وبدايةِ الخليقةِ والغايةِ من خلق الإنسان.

٢- **أنه دينٌ من عند الله تعالى سالمٌ من النقص والتعارضِ والهوى والحَيْفِ والظلم**، فهو شرعُ الله العليم الخبير سبحانه، الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، يقول الله تعالى مبينًا عظمةَ دينِهِ واتفاقَ تشريعاتِه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

٣- **موافقته للعلمِ الصحيحِ، والعقلِ السليمِ**، فهو دينٌ يعتني بالعلمِ ويمجِّد العلماءَ، ويحترمُ العقلَ ويخاطبُ عقولَ العقلاء. وقد بين جل وعلا مكانةَ العلمِ والعقلِ ومنزلةَ أهلهما فقال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣].

٤- **تحريرُ الإنسانِ من عبوديةِ الإنسانِ والهوى**؛ فيخلِصُ في عبادته لله رب العالمين سبحانه وتعالى، ويعمل وفق شرعه وتوجيهه وأمره ونهيه.

عندما نزل قولُ الله تعالى عن اليهود والنصارى ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]. سمع عديُّ بن حاتم رضي الله عنه النبيَّ ﷺ يقول: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا

اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»[١].

وكما قال ربعيُّ بنُ عامرٍ رضي الله عنه بين يدي رُسْتم قائدُ جيوشِ كسرى: «إنَّ اللهَ ابتعثنا لنخرجَ من شاءَ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ الله، ومن ضيقِ الدنيا إلى سعتِها، ومن جَوْرِ الأديانِ إلى عَدْلِ الإسلام»[٢].

٥- تلبيةُ مطالبِ النفسِ البشرية، وذلك بتشريعِ ما يَصْلُح لها وما يُصلحها، فهو دينُ الله الذي خلق الإنسانَ ويعلمُ ما يتناسبُ مع هذه النفسِ البشرية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

***

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم(٣١٩٧). وقال:حديث غريب. وحسنه الألباني.

(٢) البداية والنهاية، (٧-٤٧).

الخصيصة الثانية:

دين شامل

شرع اللهُ سبحانه وتعالى للأمةِ دينًا شاملًا في أحكامهِ وتشريعاتهِ للثقلين من الجن والإنس، ولكلِّ تصرفاتهم وعلاقاتهم، حيثما كانوا؛ فوق أيِّ أرضٍ وتحت كلِّ سماء. يقول المولى جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، فهو «دينٌ ودولة، وهو عقيدةٌ وعبادة، وهو حكمٌ وقضاء، وشريعةٌ وقانون، ومصحفٌ وسيف، وجهادٌ ودعوة، وسياسةٌ واقتصاد، وعلمٌ وخلق وتوجيه»[1].

وتتضح شمولية الإسلام في صور منها:

١- **أنه دينٌ شامل للثقلين: الجنِّ والإنس.** فأما الإنسُ فظاهرٌ في نصوص القرآن العظيم، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وأما الجنُّ فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

٢- **أنه دين شاملٌ للزمان كله؛** من بعثة نبينا محمدٍ إلى قيامِ الساعة.

٣- **دينٌ شاملٌ للمكان؛** فليس خاصًا بإقليم دون آخر، ولا بأمةٍ دون أخرى؛ شمولية مكانية؛ يطالب بهذا الدين كلَّ البشرِ في أيِّ مكانٍ ومن أيِّ أمةٍ، ويتأكد بها أن المسلم مطالبٌ بتنفيذ أحكامِ دينِ الله تعالى في كلِّ مكانٍ.

---

(١) الوجيز في الثقافة الإسلامية (٨٧).

٤- دينٌ شاملٌ للإنسان في مراحلِ حياته المختلفة، وفي علاقاته المتعددة، يوجهها إلى ما فيه صلاحُه ورفعته وحفظه وهدايته.

٥- دين شامل لحركةِ الكونِ والحياةِ، يراعيها في أحكامهِ وتشريعاتهِ، فلا تنفكُّ الأحكامُ الشرعيةُ عن حركةِ الكونِ بأفلاكه وأجرامه، وليلِهِ ونهارِه، وحرِّه وقرِّه، فهناك عباداتٌ مرتبطةٌ بحركةِ الشمس؛ كالصلواتِ الخمس والسَّحورِ والإفطارِ، وعباداتٌ مرتبطة بدورةِ القمر؛ كالصيامِ والحجِّ وغير ذلك، فيراعي ذلك في بيان مهمة الإنسانِ تجاهها ودورِه نحوها، وتوجيهه إلى ما فيه عمارتُها وصلاحُها، فالكونُ والخلق كلُّه لله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٦].

٦- دين شامل في توجيهِ نظرِ الإنسانِ إلى الدنيا والآخرة فهما داران متكاملتان، للإنسانِ في كلٍّ منهما نصيبٌ، فالدنيا مزرعةٌ للآخرة، يزرعُ فيها ما يرغب جَنْيَه في الآخرة. يقول الله جل وعلا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧].

وبهذا يتأكد للمسلم أنه ما من شأن من شؤونه ولا تصرُّفٍ من تصرفاته إلا ولله تعالى فيه حُكْمٌ وقضاء، وأن دينَ الإسلامِ منهجُ حياةٍ مُهيمنٌ على كلِّ تصرفاتِ الإنسان، فيُرَدُّ بذلك على كلِّ من يعترضُ على نظرةِ الإسلامِ الشموليةِ لشؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية وغيرها؛ ممن يرددون مقالاتٍ مستوردةً؛ كقولهم: «ما لله لله وما لقيصرَ لقيصر»، وقولهم: «لا سياسةَ في الدين، ولا دينَ في السياسة»، ويقالُ لهم بأنَّ لله كلَّ أمر ونهي وتدبيرٍ وحُكْمٍ وقضاء، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، ويقول جل وعلا: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤].

وقد أنكر الإسلامُ أشدَّ الإنكار على من يأخذُ من الدينِ ما يَهْوَى، ويَدَعُ ما لا يوافق هواه، وينسى أن الإسلامَ كلٌّ لا يتجزأ، يقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

* * *

الخصيصة الثالثة:

دين الفطرة

والمراد بالفطرةِ الابتداءُ والاختراعُ، والمعنى في قوله: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**» أنه يولد على نوعٍ من الجِبِلَّة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو تُرِكَ عليها لاستمرَّ على لزومِها ولم يفارِقْها إلى غيرها، وإنما يعدلُ عنه من يعدل؛ لآفةٍ من آفاتِ البشرِ والتقليد[1].

فالإسلامُ هو الدينُ الذي جَبَلَ اللهُ الناسَ عليه وهيأهم لقبوله والعمل به. فلا يتعارضُ مع طبيعةِ الإنسانِ ولا يتضادُّ مع رغباته؛ بل يتفقُ معها ويوجهها ويرشدُها إلى الأصحِّ والأسلم، فلو تجردَ الإنسانُ من الهوى والعنادِ، لاعترفَ بدينِ الإسلام وأنه الدينُ الحقُّ... ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ.هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**». **ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[2].

فاللهُ جل وعلا خلقَ الناسَ حنفاءَ كلَّهم، ثم اجتالتهم شياطينُ الجنِّ والإنس فصرفتْهم عن الحقِّ والهدى والفطرةِ السليمةِ، ففي حديث عِياض ابن

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله. رقم (٤٤٩٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب كل مولود يولد على الفطرة، رقم(٢٦٥٨).

حمارٍ المجاشعي ﵁ أن رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا..وفيه: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»... الحديث[1].

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم(٢٨٦٥).

الخصيصة الرابعة:

الوسطية

وهي العدلُ والفضلُ والخيريةُ والتوازنُ، فالإسلامُ دينُ الوسط في كلِّ الأمورِ عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، وهو وسطٌ بين غلوِّ الديانات الأخرى وتَفريطها، وهو وسطٌ يجمعُ بين مطالبِ الروح والجسد والفرد والمجتمع، فلا يُغَلِّب جانبًا على آخر إلا بما يتناسب مع صلاحِ الروحِ وسلامةِ الجسدِ وفلاحِ الفردِ وإصلاحِ المجتمع.

وكما يأمرُ بالعبادة والعملِ للدار الآخرة يوجِّه إلى السعيِ في طلبِ الرزقِ والمعاش في الدنيا، ويعتَبر ذلك عبادة ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧].

إن أمةَ الإسلامِ أمةٌ وَسَطٌ، شَهِدَ لها بذلك خالقُها سبحانه وتعالى ورتَّبَ على ذلك مكانتَها ومنزلتَها ودورَها في هذا الكونِ، وبين الأمم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة:١٤٣].

فقوله سبحانه (وسطًا) أي عَدْلًا، وَوَسَطُ الشيء أو أَوْسَطُهُ بمعنى أفضلُه وأعدلُه وخيارُه[(١)]. يقول الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى: «إنما وصفهم الله -تعالى ذكره- بأنهم وسط لتوسُّطِهم في الدين»[(٢)].

ونماذجُ وسطيةِ الإسلامِ كثيرةٌ، وليس المجالُ لذكرها ولكن نعرِضُ لبعضِ الصورِ التي تدلُّ على شيءٍ من ذلك:

---

(١) لسان العرب: (٧/ ٤٢٧).

(٢) جامع البيان (٢/ ٦).

١- عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ فلما أُخبروا، كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبيِّ ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلي الليلَ أبدًا. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[١].

٢- ورأى النبيُّ ﷺ حبلًا ممدودًا بين ساريتين فسأل عنه، فأخبر أنه لزينبَ تتمسكُ به إذا كَسِلَتْ عن الصلاة، فأمر ﷺ بإزالته وقال: «لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»[٢].

٣- وحديث عبد الله بن عمرو[٣] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا عَبْدَ الله، أَلَمْ أُخبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «فَلاَ تَفعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

وحينما نذكر وسطيةَ الإسلامِ من خلال هذه الأحاديث والمواقفِ وغيرها، يجب علينا ألاَّ ننسى ما يقابل ذلك وهو التفريط، فكما ذمَّ النبيُّ ﷺ هذا الغلوَّ،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم(٤٧٧٦) ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، رقم (١٤٠١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم (١٠٩٩). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، رقم(٧٨٤).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم(٤٩٠٣). ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقًّا، رقم(١١٥٩).

وطلبَ الزيادةِ في العمل تعبدًا لله ﷻ، فإن ذلك يعني التنبه للمقابلِ وهو الوقوعُ في التفريطِ والتركِ لشيءٍ مما شرعَ اللهُ تعالى؛ كتركِ الفرائض ومواقعةِ الذنوب والاستهانةِ بالمعاصي: فكلا طرفي الأمرِ خطأٌ ومخالفٌ لدين الله تعالى؛ الزيادةُ غلوٌّ في دين الله تعالى، والتركُ تقصيرٌ في حق المولى جل وعلا.

وشريعةُ الله تعالى هي الوسطُ القائمُ على أداءِ ما شرع الله تعالى من غير تفريطٍ ولا إفراطٍ.

* * *

الخصيصة الخامسة:

دين العلم

للعلمِ في الإسلام مكانةٌ سامية، ويكفي دلالةً على ذلك أن أول كلمةٍ نزلت من عند الله تعالى على نبي الهدى ﷺ، هي قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾.

دينٌ يحترمُ العلمَ ويجلُّ العلماء، ويرى أن العلمَ طريقٌ للخشيةِ والخضوعِ والانقيادِ لأمرِ الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

دينٌ يرفعُ من شأنِ العلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

وآياتُ القرآنِ العظيم توجِّه إلى التفكرِ والتدبرِ والنظرِ، وإعمالِ العقلِ واللُّبِ في الوصول إلى الحق والصواب.

ولهذا ختمَ اللهُ تعالى كثيرًا من الآيات بالأمر بذلك والحثِّ عليه، كما في قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقد أرشدَ اللهُ تعالى في القرآنِ العظيمِ إلى أن الكونَ بحقائقه يتفقُ مع ما جاء في القرآن العظيم، وأن العلمَ الصادقَ يزيدُ الإيمانَ في النفسِ، فقال جل وعلا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

هذا هو العلمُ وهذا شيءٌ من موقف الإسلام منه، مطلبُ العلمِ الماديِّ الذي تحتاجه الأمةُ وتستغني به عن سواها من الأمم الكافرة واجبٌ من الواجبات، وذلك لما يترتب عليه من استقلالِ الأمةِ وغلبتِها وتمكنِها من الصناعةِ والإنتاج.

والإنسانُ مهما بلغ في درجاتِ العلمِ الماديِّ البحت فإنه لا يزالُ قاصرًا عن أنْ يحيطَ علمًا بكلِّ شيءٍ، فالله تعالى يخبر عن ذلك فيقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

وقد أثر ذلك تأثيرًا حضاريًّا قويًّا في الأمة، وكان ذلك بدافعٍ من الدين الإسلامي الذي شجَّعَ العلمَ، وقدَّر العلماءَ ودعا إلى التأملِ والتفكرِ والتجريب، وأوروبا مدينة لهم بذلك»[1].

ولهذا فهناك فرقٌ شاسع بين موقفِ الإسلام من العلمِ وخاصةً العلومَ التجريبيةَ وموقفِ الكنيسة من ذلك، خاصة ما كان في أوربا قبل الثورةِ الفرنسية، وسيطرةِ الكنيسة ورجالاتها على عقولِ الناس وتفكيرِهم، وتحريمِها كلَّ محاولةٍ للتحرر من العبوديةِ لرجال الكنيسة. وما نتج عن ذلك من الثورةِ على الكنيسة. بينما الإسلامُ قام أصلًا على العلمِ والتوجيه إليه والتحاكمِ إليه، فلا يصحُّ عقلًا ولا واقعًا إسقاطُ أخطاءِ الكنيسةِ الباطلةِ على دينِ الإسلام، وادعاءُ أن الدينَ الإسلاميَّ عائقٌ عن العلم ومانعٌ من التقدمِ التقني والصناعي. وإنْ كان ذلك منهاجٌ لمن لا معرفةَ عندَه، أو من كان قصدُه غيرَ الحقِّ.

وإن المطّلعَ على قراراتِ المجامع العلمية -وخاصة ما يختصُّ منها بالإعجازِ

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق (٧٠).

العلميٌّ في القرآنِ والسنة- وما توصل إليه العلماءُ من حقائقَ علميةٍ[١] تتطابقُ مع ما جاء به الخبرُ في دينِ الله تعالى، يرى إعجازَ دينِ الإسلام؛ فيجدُ في ذلك الطمأنينةَ والثقةَ والأنسَ بأن اللهَ تعالى أنعمَ عليه بالهدايةِ للإسلامِ، وأكرمه باتباعِ سيرةِ خيرِ الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام.

وحيث إننا نعيشُ عصرَ حضارةٍ ماديةٍ طغت على مشاعرِ الإنسانِ وشغلت أحاسيسَهُ، فإن نعمةَ الله تعالى على أمةِ الإسلامِ في أن يتواكبَ هذا الدينُ بأصولِهِ مع مقتضياتِ المرحلةِ وتظهرُ دلائلُ الإعجازِ وإقامةُ الحجةِ على الناسِ في صورٍ ظاهرةٍ وصريحةٍ، لا يمكنُ لأيِّ بشرٍ أن ينكرَها ولا أن يتنكرَ لها، لهي دلائلُ على عظمةِ هذا الدين وعنايتِهِ بالعلمِ، ولهذا فتجدرُ الإشارةُ إلى بعضٍ من الصور الدالةِ على هذا الأمر المهم، مما تتجلى فيه صورُ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ العظيمِ والسنة النبوية المطهرة، وتكون الإشارة دون التفصيل، فمن ذلك:

علمُ الفلك وما في هذا الكون الفسيحِ من عظيمِ صنعِ الله تعالى، وما توصل له البشرُ من حقائقَ سبَقَ إليها الإسلام.

الأرضُ وما طرأ عليها من تغيرات، وحركةِ دورةِ الماءِ فيها، والجبالُ وتثبيتُها للأرض، والشمسُ والقمرُ وجريانُهما كلٌّ في فلكٍ يسبحون.

الإنسانُ وخلقُهُ، وما في ذلك من حقائقَ جاءت صريحةً في القرآن الكريم، ووقف على بعضها المكتشفون من الغربيين والشرقيين، كعلم الأجنَّةِ وما فيه، ومراحلِ خلقِ الإنسانِ، وطبيعتِه ونفسِه ونهايتِه.

---

(١) لا يخفى على مسلم أن دين الله تعالى حق وصدق، وأن ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الثابتة حق لا يرتاب فيه، وأن ما يرد من بحوث ودراسات في هذا الباب فيه الحق البين الواضح، وفيه ما يتكلف له أصحابه ليتم التوافق والإعجاز، وإن ما نقصد له في هذا الباب هو الحقائق العلمية الواضحة، مما يستأنس به المرء، وتطمئن له النفس. والله أعلى وأعلم.

عالمُ البحار، وأمواجه، ووجود الماء العذب في أماكنَ من البحارِ المالحةِ لا تمتزج، وتمايز مياهِ الأنهار عند اختلاطها، بمياه البحارِ، فلا يطغى ماءُ البحرِ على ماءِ النهر. وكلُّ ذلك العلمِ مع أنَّ رسولَ الله ﷺ ما رَكِبَ بحرًا ولا عاش قربَ شاطئٍ.

إلى غير ذلك من دلائلِ الإعجازِ وبراهينِ الحق التي تقومُ على البشر في صدقِ ما جاء به رسولُ الله ﷺ.

ولنعرضْ لذكرِ أمثلةٍ مختصرةٍ على الإعجازِ العلميِّ في الكتابِ والسنةِ:

ومن نماذج ذلك الإعجاز:

* أسلم بعضُ الفلكيين لمَّا سَمِعَ قولَ الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦]، وقال تصديقًا لهذه الآية: حقًّا إننا لا نرى إلا مواقِعَها القديمةَ التي لم يصلْنا ضَوْءُها إلى الآن لبعدِها عنا وهي تحركتْ عنها الآن، وأن التشكيلة المرئية إنما هي صورة لمواقعها.

* إخبارُ الله بضيقِ التنفسِ عند الصعودِ إلى أعلى «الضغط الجوي»، يقول سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، فهذه حقيقةٌ علميةٌ حديثة.

* أخبر اللهُ عن موجين في البحار: الموج الذي نراه، وموج آخر داخل البحار لم يكتشفه العلماء إلا حديثًا، فقد قال سبحانه: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]. ولما سمع بحار إنجليزي بهذه

الآية سأل هل ركب محمدٌ البحر؟ فلما قيل له: لا. آمن على الفور، وقال: إن ما ذكره محمدٌ ﷺ إنما هو من عندِ الله، وليس من تلقاءِ نفسِه.

* ومما ذكره اللهُ عن البحر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣]، فلا تختلطُ مياهُ البحارِ ولا تطغى على مياهِ الأنهار مع أنها تلتقي، بل جعلَ اللهُ حاجزًا طبيعيًا يمنعُ انتقالَ الملح إلى مياه الأنهار حتى في حالات المد.

* مراحلُ خلقِ الإنسانِ بدءًا بأصله وهو من تراب ثم أحوال الجنين في بطن أمه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وجاء الطب الحديث بما يوافق تلك الحقائقَ التي نزلت على النبيِّ ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا، حتى أسلم عددٌ من علماءِ الأجنة.

* أخبر الله سبحانه عن بدايةِ الأرضِ وأنها كانت ملتصقةً مع الشمسِ ثم انفصلتا، وأن الماءَ أصلُ كلِّ حياةٍ، ودورُ الجبال في ثباتِ الأرض، وحفظ توازنها، وجريان الشمس والقمر كلٌّ في فلك يخصه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠-٣٣][1].

---

(١) انظر: حوار مع نصراني (ص:٢٥-٣١).

فهذه آيات الله تعالى مسطورةٌ في كتابه العظيم، ومبثوثةٌ في سنة نبيه الكريم، وشاهدةُ صدقٍ في واقعِ الكونِ والحياةِ، يهدي بها اللهُ عبادَهُ إلى وحدانيته وألوهيته وأسمائه وصفاته جلَّ وعلا.

وأخيرًا فإنني أطمح أن يراجع القارئُ الكريم هذه الكتبَ والمواقعَ المهمة لما فيها من حقائق عظيمة:

كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، لموريس بوكاي العالم الفرنسي الذي أسلم لما تجلى له موافقة حقائق العلم للقرآن.

وكذلك مؤلفات الشيخ العالم عبد المجيد الزنداني.

http://www.noorag.org

وكذلك الموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهو موقع متعدد اللغات، وتحت رعاية رابطة العالم الإسلامي، ويحتوي عددًا كبيرًا من البحوث والدراسات المتخصصة.

http://www.٥٥a.net/firas/arabic

وكذلك موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ موقع متعدد اللغات، ويحتوي موضوعات كثيرة ومتجددة.

* * *

الخصيصة السادسة:

دين الأخلاق

الإسلامُ دينُ الأخلاقِ، فما من حُكمٍ شرعيٍّ في دينِ الإسلام إلا ويلبِّي مقصدًا خُلُقيًّا حميدًا للإنسان، ولهذا كان قول نبينا محمد ﷺ: «إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخلاقِ»[1]، وقوله: «إنَّ مِنْ أَحبِّكُمْ إليَّ وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ؛ أحاسِنُكُمْ أخلاقًا، وَإنَّ أَبْغَضَكُمْ إليَّ وأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيامَةِ؛ الثَّرْثارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمتَفَيْهِقُونَ. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: المُتكَبِّرُون»[2]. فالثرثرةُ والتشدقُ والتفيهقُ صفاتٌ ذميمةٌ لما تتضمنه من معنى العُجْبِ بالنفس والردِّ للحق والتعالي على الخلق.

وفي الحديث[3]: «إِنَّ مِنْ خِيارِكُمْ أَحاسِنكُمْ أَخلاقًا».

ثم إن لازم من يتمسكُ بالإسلامِ أن يكونَ حسنَ السلوكِ، ساميَ الخُلُقِ، شريفَ المعاملة، ولقد كان في سيرةِ النبيِّ ﷺ وصحابته الكرام، وسلفِ الأمة، أعظمُ مثالٍ على ذلك المجتمع الأخلاقي المثالي.

واللهُ جل وعلا حين أثنى على نبيه محمد ﷺ، كان ثناؤه سبحانه بأبلغِ وأرفعِ عبارةٍ في قوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وحين يقرأُ المسلمُ القرآنَ العظيم أو يتتبعُ سنةَ رسولِ الله ﷺ يجد أنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (ص:١٠٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٤٢٢١) وصححه على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم(٢٠١٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، رقم(٥٦٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم(٢٣٢٠).

تعالى يؤكدُ على صفاتِ أهلِ الإيمان، بأنها الصفاتُ الفاضلةُ، ويفصِّل في ذكرِها تفصيلًا يُبين سموَّ أخلاقِ هذا الدينِ ومقاصدِهِ، في صَبْغِ الناسِ بهذه الصبغة الأخلاقية الإلهية السامية، يقول الله جل جلاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:١-٦].

وقال جل وعلا عن عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٨].

وفي سنةِ نبينا محمدٍ ﷺ من النصوصِ ما يؤكدُ على هذه الحقيقةِ ويجعلُها وصفًا رئيسًا من صفات المؤمنين: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١). ويقول ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٣١٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير رقم(٤٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم(١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم(٤٠).

وهو دينُ الصدق كما قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

وهو دينُ الصبرِ؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

وهو دينُ التسامحِ والعفوِ؛ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وهو دينُ التعاونِ والنصرةِ؛ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

وهو دينُ الوفاءِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]. إلى غير ذلك من الآياتِ والأحاديثِ الكثيرةِ التي تحثُّ على الأخلاقِ الفاضلةِ.

وتتجلَّى هذه الخصيصةُ في أحكامِ هذا الدين وتفصيلاتِ شريعةِ الله تعالى، فالصلاةُ تنهى عن الفحشاءِ والمنكر، والزكاةُ فيها التربيةُ على سخاءِ النفسِ وبذلها، وفي الصومِ تَلَمُّسُ أحوالِ الفقراءِ والشعورُ بحاجتهم، وفي الحجِّ نهيٌ عن الرَّفَثِ والفسوق والجدال والصخب، وتدريبُ النفسِ على الصبرِ والإيثار، والمعاملاتُ بين الناسِ تقومُ على الوضوحِ والمصلحةِ المتبادلة، وتذمُّ الأحكامُ الشرعيةُ الأنانيةَ والمكرَ والغشَّ والخداعَ والاحتكارَ وكلَّ ما فيه جهالةٌ وغَرَرٌ.

ثم إن من دلائلِ أخلاقيةِ الإسلام، أن المسلمَ وهو في أقسى المواقفِ وأشدِّ الأوقاتِ في الحربِ وحين يُطرب ضجيجُ السلاح أسماعَ الأبطال، وحين تُحملُ الأرواحُ على الأكفِّ، وحين يتقابل المسلمُ مع الكافرِ في الحربِ، تتجلى أخلاقيةُ الإسلامُ، ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].

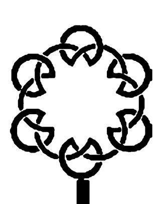
ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

ولقد كان من سننِ رسولِ الله ﷺ ووصاياه لمن يبعثُهم من جندِ الإسلامِ، ما فيه سموُّ أخلاقِ هذا الدين؛ فقد كان ﷺ إذا بعث أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَنْ معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغْزُوا بِاسْمِ الله، فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا...» الحديث[1].

فهذه لمحةٌ سريعةٌ لهذه الخصيصةِ التي يمتازُ بها دينُ الإسلامِ عما سواه من المناهج الأخرى.

* * *

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم(١٧٣١).



ثالثا: العقيدة الإسلامية

- تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها
- منهج تلقي العقيدة الإسلامية والاستدلال عليها
- أركان الإيمان:

١- الإيمان بالله تعالى.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب.

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر.

- نواقض الإيمان:

١- نواقض الإيمان الاعتقادية.

٢- نواقض الإيمان القولية.

٣- نواقض الإيمان العملية.

تعريف العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقْدِ، وهو الربطُ والشدُّ بقوة[١].

واصطلاحًا: لها تعريفان:

أولاً: التعريف الاصطلاحي العام:

عُرِّفت العقيدةُ وفق المفهومِ العامِّ بأنها: ما يَعْقِدُ عليه الإنسانُ قلبَهُ، عقدًا جازمًا ومحكمًا لا يتطرق إليه شك.

ثانيًا: تعريف العقيدة الإسلامية:

هي: «الإيمانُ الجازمُ بالله، وما يجبُ له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. والإيمانُ بملائكته وكتبه ورسلهِ واليومِ الآخرِ، وبالقدرِ خيرِه وشرِّه، وبكلِّ ما جاءت به النصوصُ الصحيحةُ من أصولِ الدين وأمورِ الغيبِ وأخبارِه»[٢].

ومن مرادفات لفظ العقيدة: التوحيد، والسنة، والإيمان.

---

(١) انظر: القاموس المحيط مادة: «عقد».

(٢) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١١-١٢).

أهمية العقيدة الإسلامية:

للعقيدةِ الإسلامية أهميةٌ كبيرةٌ تظهرُ في الأمورِ التالية:

١- أنَّ جميعَ الرسلِ أُرْسِلوا بالدعوةِ للعقيدةِ الصحيحةِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

٢- أن تحقيقَ توحيدِ الألوهية وإفرادِ الله بالعبادةِ هو الغايةُ الأولى من خَلْقِ الإنسِ والجن، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

٣- أن قبولَ الأعمالِ متوقفٌ على تحققِ التوحيدِ من العبدِ، وكمالُ أعمالِهِ على كمالِ التوحيدِ، فأيُّ نقصٍ في التوحيدِ قد يُحبطُ العملَ أو يُنقصُه عن كماله الواجب أو المستحب.

٤- أن النجاةَ في الآخرة -ابتداءً أو مآلًا- متوقفةٌ على صحةِ العقيدةِ، مما يبرز أهميةَ تعلمِها واعتقادِها على المنهج الصحيح. قال ﷺ: «إن اللهَ حرّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله يبتغي بذلك وجهَ الله»[1].

٥- أنَّ هذه العقيدة تحددُ العلاقةَ بين العبدِ وخالقه: معرفةً، وتوحيدًا، وعبادةً شاملةً لله تعالى: بالخوفِ والرجاءِ، والمراقبةِ والتعظيمِ، والتقوى والإنابة... ورعايةً تامةً من الله للعبدِ: نطفةً، وصغيرًا، وكبيرًا، في البر والبحر، رزقًا وإنعامًا، وحفظًا وعناية.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤١٥)، ومسلم في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٢٦٣).

٦- أن السعادةَ في الدنيا أساسُها العلمُ بالله تعالى، فحاجةُ العبدِ إليه فوقَ كلِّ حاجة، فلا راحةَ ولا طمأنينةَ إلا بأنْ يعرفَ العبدُ ربَّه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

٧- أن هذه العقيدةَ تجيبُ عن جميعِ التساؤلات التي تَرِدُ على ذهنِ العبدِ، ومن ذلك: صفةُ الخالق، ومبدأُ الخلق، ونهايتُهُ، وغايتُهُ، والعوالمُ الكائنة في هذا الوجود، والعلاقةُ بينها، وموضوعُ القضاء والقدر...

٨- تركيزُ القرآنِ والسنةِ على موضوعِ العقيدة: بيانًا وتقريرًا، وتصحيحًا، وإيضاحًا، ودعوةً.

٩- أنَّ العقيدةَ الصحيحةَ سببُ الظهورِ والنصرِ والفلاحِ في الدارَيْن، فالطائفةُ المتمسكةُ بها هي الطائفةُ الظاهرةُ والناجيةُ والمنصورةُ التي لا يضرُّها من خذَلها. قال ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذَلَهم حتى يأتيَ أمرُ الله وهم كذلك»[1].

١٠- العقيدةُ الصحيحةُ هي ما يَعْصِمُ المسلمَ من التأثرِ بما يحيطُ به من عقائدَ وأفكارٍ فاسدة.

وفي الجملة فإنَّ «العقيدةَ الصحيحةَ هي الأساسُ الذي يقومُ عليه الدينُ، وتصحّ معه الأعمالُ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

فدلّت هذه الآياتُ الكريماتُ، وما جاء بمعناها، وهو كثيرٌ، على أنَّ الأعمالَ

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٢٢).

لا تُقبلُ إلا إذا كانت خالصةً من الشركِ، ومن ثَمّ كان اهتمامُ الرسلِ -صلوات الله وسلامه عليهم- بإصلاحِ العقيدةِ أوّلًا، فأوّلُ ما يدعون إليه أقوامَهم هو عبادةُ الله وحدَه، وتركُ عبادةِ ما سواه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقد بَقِي النبيُّ ﷺ في مكةَ بعد البعثة ثلاثةَ عشرَ عامًا يدعو الناسَ إلى التوحيدِ، وإصلاحِ العقيدةِ؛ لأنها الأساسُ الذي يقومُ عليه بناءُ الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كلِّ زمانٍ حَذْوَ الأنبياءِ والمرسلين، فكانوا يبدؤون بالدعوةِ إلى التوحيدِ وإصلاحِ العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمرِ ببقيةِ أوامرِ الدين»[1].

* * *

(١) عقيدة التوحيد (ص: ٩-١٠).

منهج تلقي العقيدة الإسلامية
والاستدلال عليها

للعقيدةُ الإسلامية منهجٌ متميزٌ في تلقّيها وأخذِها، وكذلك الاستدلالُ عليها وهو منهجُ السلف من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ، من الأئمةِ وسائرِ المهديين من أمة محمد ﷺ[1].

أولاً: منهج تلقي العقيدة عند السلف يقوم على عدة أسس، منها:

١- الاقتصارُ في منهجِ التلقي على الوحي:

وهذا مردّه إلى إيمانهم بوجوبِ أنْ يعيشَ المسلمُ حياتَه كلَّها -اعتقادًا وعملًا وسلوكًا- مستمسكًا ومعتصمًا بالوحي المتمثل في الكتابِ والسنةِ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»[2].

ولهذا كانَ رسولُ الله ﷺ يحذرهم الالتفاتَ إلى كتبِ السابقين التي دخلها التحريفُ.

---

(١) انظر في هذا الموضوع المراجع التالية: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٥١-٧١)، وبحوث في عقيدة أهل السنة (ص:٣٢-٤٣)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢٢٣-٥٣١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، باب النهي عن القول بالقدر، رقم (١٦٦١).
قال ابن عبد البر عن الحديث: «محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم.شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد» (التمهيد ٢٤/ ٣٣١).

٢- التسليمُ لما جاء به الوحيُ، مع إعطاء العقلِ دورَهُ الحقيقي:

مما يميزُ المسلمين الذين يؤمنون بما جاءت به العقيدةُ الإسلاميةُ، أنهم آمنوا بهذه العقيدةِ على الغيبِ، وقد جاء مدحُ هذا الإيمانِ في القرآن الكريم في آياتٍ عديدة، منها قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الآية [البقرة:٢-٣].

ولما كانت العقيدةُ تقومُ على الأمورِ الغيبية، كان مبناها على التسليم بما جاء عن الله جلّ جلاله، وعن رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، ما عقلناه منها وما لم نعقله.

فوظيفةُ العقلِ تتوقفُ عند التدبرِ في آياتِ الله، ومعرفةِ محاسنِ العقيدةِ والشريعة التي جاء بها الإسلام، كما أنه هو الآلةُ في فهمِ النصوصِ الشرعيةِ واستخلاصِ المعاني المرادة منها.

٣- ترك الابتداع:

فهذا الدينُ كاملٌ لا يحتاجُ إلى تكميلٍ، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فليس لأحدٍ أن يُحدِثَ في هذا الدينِ أمرًا لم يأتِ في الكتابِ أو السنةِ، قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم (٢٥٥٠)، ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور رقم (١٧١٨).

ثانيًا: منهج السلف في الاستدلال على العقيدة يقوم على الأسس التالية:

١- حُجيّةُ السنةِ (المتواترة والآحاد) في العقيدة:

اهتمَّ سلفُ هذه الأمةِ بالسنةِ النبويةِ اهتمامًا بالغًا، واعتبروها حجةً بنفسها في جميعِ مسائلِ الدين: العلمية والعملية، ولم يعرفوا بدعةَ القولِ بالتفريقِ بين السنةِ المتواترةِ والسنةِ الآحادية في الاحتجاج.

وهذا مبني عندهم على أسس، منها:

أ- أن اتّباعَ السنة هو من أكبرِ ما يقتضيه الإيمانُ برسالةِ نبينا محمدٍ ﷺ.

ب- أنَّ الرسولَ ﷺ أعلمُ الخلقِ بالله، وهو المبلّغ عنه دينَهُ الذي ارتضاه للناس، وهو مؤتَمَنٌ على وحي الله، فالحجةُ قائمةٌ فيما يبلّغه كله.

ج- أن الرسولَ ﷺ بلّغ جميعَ الدينِ ولم يكتمْ منه شيئًا، وأنه بلّغه أتمَّ بلاغٍ وأبينه، فالتفريقُ بين ما بلّغه في إفادته العلمَ والعملَ تفريقٌ باطلٌ، أساسُهُ التقسيماتُ العقليةُ المتأثرةُ بالمنطقِ اليونانيِّ، الذي أغلبُ ما فيه جدلٌ عقيمٌ يشكّكُ حتى في البديهيات.

٢- ترك التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة:

لأنَّ نصوصَ العقيدةِ لا يجوزُ صرفُها عن ظاهرِها بغيرِ دليلٍ شرعيٍّ ثابتٍ عن المعصومِ ﷺ، بل يجبُ اتباعُ المحكمِ وردُّ المتشابه إليه.

٣- عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاستدلال:

فالكتابُ والسنةُ وحيٌ من الله تعالى، والقبولُ لهما واجبٌ على حدّ سواء، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤]. وقال ﷺ: «ألا

إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[١].

٤- صحة فهم النصوص[٢]:

فصحةُ فَهْمِ النصوصِ ركيزةٌ أساسيةٌ لصحةِ الاستدلالِ، ولا يستطيعُ المرءُ معرفةَ مرادِ الله تعالى، ومرادُ رسولِهِ ﷺ إلا حينما يستقيمُ فهمُه لدلائلِ الكتابِ والسنة، وخاصة في هذا العصرِ الذي كثر فيه المتحدثون في أمورِ الدين عَبْرَ وسائلِ الإعلام المختلفة؛ كالفضائيات والإنترنت، فالمعرفةُ بهذه القواعدِ الأساسيةِ التي يرتكزُ عليه الفهمُ الصحيح تمكّن من تمييزِ المتحدثين بحقٍّ من المنحرفين عن الفَهْمِ الصحيح، وركائزُ الفهم الصحيح للنصوص كثيرة منها:

أ- معرفةُ لغة العرب التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ.

ب- الاعتمادُ على فَهْمِ الصحابة[٣] لدلائل الكتاب والسنة لكونِ الرسولِ ﷺ بين أظهرِهم، كما عايشوا نزولَ الوحي، فهم أعلمُ الناسِ بمرادِ الله ومرادِ رسوله ﷺ، وهذا الأمرُ يتأكدُ خاصةً إذا كثرت البدعُ والأهواءُ، قال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠-١٣١)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة برقم (٤٦٠٤)، وصححه ابن حبان (١٢).

(١) انظر: منهج التلقي والاستدلال (ص ٤٨-٦٠).

(٢) ما أبلغ ما وصف به ابن مسعود أصحاب رسول الله ﷺ حين قال: «إنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلّفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ». جامع بيان العلم (٢/ ٩٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة برقم (٢٦٧٦). وقال حسن صحيح. وصححه ابن حبان والحاكم.

ج- جمعُ النصوصِ الواردةِ في المسألةِ الواحدةِ، ثم الأخذُ بها جميعًا، فلا يعطلون بعضَ النصوصِ ويُعملون أخرى.

د- معرفةُ مقاصدِ التشريعِ الإسلاميِّ: قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: «الشريعةُ مبناها على تحصيلِ المصالحِ وتكميلِها، وتعطيلِ المفاسدِ وتقليلِها بحسب الإمكانِ، ومعرفةِ خيرُ الخيرين وشرُّ الشرّين، حتى يُقدّمَ عند التزاحمِ خيرَ الخيرين، ويُدفعُ شرَّ الشرّين»[1].

***

---

(١) منهاج السنة (٦/ ١١٨).

أركان الإيمان

لا يخفى أنَّ أُسُسَ «العقيدة الإسلامية»: الإيمانُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأمورُ الستةُ هي أصولُ «العقيدة الإسلامية الصحيحة» التي نزلَ بها كتابُ الله ﷻ، وبُعث بها رسولُ الله ﷺ، ويتفرعُ عن هذه الأصولِ كلُّ ما يجبُ الإيمانُ به من أمورِ الغيبِ، وجميعُ ما أخبرَ اللهُ به ورسولُه ﷺ.

وهذه الأصول تُسمّى (أركان الإيمان):

والركن في اللغة: الجانبُ الأقوى للشيء، وفي الاصطلاح: ما لا وجودَ لذلك الشيء إلاّ به.

والإيمانُ لغةً: نوعٌ من التصديقِ مما يؤتمنُ عليه المُخبِر لأنَّه مما لا يدركُه المُخبَر بحسه[1]، واصطلاحًا: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان.

والكتابُ والسنةُ مملوءان بالأدلةِ الواضحةِ المثبتةِ والموجبةِ للإيمانِ بهذه الأركان، ومن تلك الأدلة:

---

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «الإيمان ليس مرادفًا للتصديق في المعنى، فإنَّ كلّ مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال لَه في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأمّا لفظُ الإيمان فلا يستعمل إلاّ في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أنَّ من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه..فإنَّ الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل فيما يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب، ولهذا لم يوجد قط في القرآن الكريم وغيره لفظ: آمن له إلاّ في هذا النوع».كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص:٢٧٦).

من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]. أي المرجع والمآب وهو يتضمن الإيمان باليوم الآخر(١).

ويُلْحَظُ أنَّ الأصلَ السادسَ -وهو الإيمان بالقدر- لم يذكرْ في هذه الآية صريحًا؟ والجوابُ: أنَّ الإيمانَ بالله يتضمنه، فإنَّ القدرَ عائدٌ إلى علمِ الله وتقديرِه للمقاديرِ ومشيئتِهِ وقدرتِهِ وخلقِهِ، وكلُّ ذلك داخلٌ في الإيمان بالله.

ومن أدلة القدر الخاصة قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩].

ومن السنة:

حديثُ جبريل (عليه السلام) المشهور حين سألَ النبيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ: «الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٢).

فهذه النصوصُ دالةٌ على أنّ أركانَ الإيمانِ ستةٌ، وعلى وجوبِ الإيمانِ بها كلِّها، وأنه لا يتمُّ إيمانُ العبدِ إلَّا بها، فالإيمانُ بها إجمالًا فرضُ عينٍ على كلِّ مكلَّفٍ، فمن جحدها أو جحد واحدًا منها كَفَرَ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ فسَّرَ الإيمانَ بهذه الأصول الستة.

---

(١) وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].
وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١١٧].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم (٨).

الركنُ الأوَّل:

الإيمان بالله تعالى

والإيمانُ بالله تعالى هو الأصلُ الأول من أصولِ الإيمانِ، بل هو أصلٌ لأصولِ الإيمان، فالإيمان بسائرِ أصولِ الإيمانِ داخلٌ في الإيمان بالله.

ولعظم شأنهِ ذُكر في القرآنِ في سبعمائة وعشرين موضعًا -تقريبًا[1]-، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران:١٧٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة يضيق المقام لسردها.

وقد جاءَ ذكرُ الإيمانِ بالله في السنةِ كثيرًا كقوله ﷺ: «مَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلا يُؤْذِ جارَهُ، ومنْ كانَ يؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[2].

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمانُ بوجودِ الله تعالى.

الثاني: الإيمانُ بربوبيته.

الثالث: الإيمانُ بألوهيته.

الرابع: الإيمانُ بأسمائهِ وصفاتهِ.

---

(١) انظر: «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين» (١/ ٣٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، بابٌ حفظ اللسان، رقم (٦١١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان رقم (٤٧).

فأمَّا الأمرُ الأوَّل وهو: الإيمانُ بوجود الله تعالى:

فقد دلَّ على وجودِهِ تعالى: الفطرةُ، والعقلُ، والشرعُ، والحسُّ.

١ - أمَّا دلالةُ الفطرةِ على وجوده: فإنَّ كلَّ إنسانٍ مفطورٌ على معرفةِ أنه لا بدَّ له من خالقٍ، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرةِ إلَّا من طرَأ على قلبِهِ ما يصرِفُهُ عنها؛ لقول النبيِّ ﷺ: «ما مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلى الفِطْرَةِ فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ أوْ يُمَجِّسَانِهِ كَما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»[1]، والفطرةُ هنا الملةُ الحنيفيةُ وهي الإسلامُ، بمعنى أنه يولدُ مستعدًّا لتأثيرِ الإسلامِ وقبولِهِ ما لم تغيرْ هذه الفطرةُ بتأثيرِ الأبوين أو غيرِهما.

٢- وأمَّا دِلالةُ العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقاتِ سابقَها ولاحقَها لابدَّ لها من خالقٍ أوجدها فهي لم تُوجد من نفسِها ولا صدفة -أي من غير شيء أوجدها، لذا تعين أن يكونَ لها موجِدٌ وهو الله رب العالمين.

وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى هذا الدليلَ العقليّ والبرهانَ القطعيَّ في سورة الطّور، حيثُ قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] يعني أنهم لم يخلقوا من غيرِ خالقٍ، ولا هم الذين خلقوا أنفسَهم، فتعين أنَّ لهم خالقًا خلقهم هو اللهُ تبارك وتعالى، ولهذا لما سَمِعَ جُبَيْر بن مُطْعم رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ يقرأُ سورةَ الطور فبلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ وكان -جُبَيْر- يومئذ مشركًا قال: «كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ، وذلك أولُ ما وقر الإيمان في قلبي»[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٦٤).

ومعنى قوله: «تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٧٩٨)، وكتاب التفسير، باب تفسير سورة والطور رقم (٤٥٧٣).

وإيضاحُ هذا الدليل أنَّ المُحْدَث لا يخلو إمَّا أنْ يُحْدِثَ نفسَه أو أنْ يَحْدُثَ من غير مُحْدِث أو أنْ يكون له مُحْدِثٌ أحدثه، ولا يحتمل الأمر غير هذه الثلاثة، فالأوَّلُ والثاني ممتنعان -وهما المنفيان في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

وبهذا يتبين أنَّ كل موجود صغيرًا كان أو كبيرًا من هذا العَالَم فإنه دالٌّ على وجود الله ﷻ وعلى كمال قدرته وعلمه كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥].

وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
ولله فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

٣- وأمّا دِلالةُ الشرع على وجود الله تعالى: فإنَّ الكتبَ السماويةَ كلَّها تنطقُ بذلك، والآياتُ في القرآنِ الدالةُ على وجوده سبحانه كثيرةٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وما جاءت به الكتبُ السماوية من الأحكامِ المتضمنةِ لمصالحِ الخلقِ دليلٌ على أنها من ربٍّ حكيمٍ عليم بمصالح خلقه.

وما جاءت به من الأخبارُ الكونيةُ التي شَهِدَ الواقعُ بصدقها دليلٌ على أنها من ربٍّ قادرٍ على إيجاد ما أخبر به.

٤ - وأمّا دلالة الحسِّ على وجودِ الله تعالى: فمن وجهين:

* أحدهما: أن «آياتِ الأنبياء» التي تسمى «المعجزات» ويشاهدُها الناسُ، أو يسمعون بها، برهانٌ قاطعٌ على وجودِ مرسلِهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمورٌ خارجةٌ عن نطاقِ قدرةِ البشر، يُجريها اللهُ تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم، مثل: آيات موسى، وعيسى، وإبراهيم.. وبقية الرسل.

* الوجه الثاني: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابةِ الداعين، وغوثِ المكروبين، ما يدلُّ دلالةً قاطعةً على وجودِهِ تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾.

الأمر الثاني - مما يتضمنه الإيمان بالله - الإيمان بربوبيته:

وحقيقتهُ إفرادُ الله سبحانه وتعالى بالخَلْق والرزق، والملك، والحكم والتدبير.

فإفراده بالخَلْق والرزق: أنْ يعتقدَ الإنسانُ أنه لا خالقَ ولا رازقَ إلّا الله، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر:٣].

وأمّا إفراده بالملك بأن نعتقدَ أنَّ الملك كلَّه له، وأنَّ كلّ شيءٍ مِلكه، فهو المالك لكل شيء، والملك على كل شيء كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠].

وأمّا إفراده بالحكم والتدبير بأن نعتقدَ أنه لا حاكمَ ولا مدبرَ إلّا اللهُ وحدَهُ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ

فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٦]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣].

ولم يُعْلَم أنَّ أحدًا من الأمم أنكرَ ربوبيةَ الله سبحانه، وكثيرٌ من الملحدين ممن أنكر الله تعالى مكابرون غير معتقدين لما يقولون لما يقول كما حَصَلَ من فرعون عندما نسب الربوبية لنفسه فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكِهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩].

والإيمانُ بربوبيته يتضمنُ أنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كلِّ شيءٍ قدير، وأنه لا مانعَ لما أعطى، ولا معطيَ لما منع؛ كما قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

الأمر الثالث - مما يتضمنه الإيمان بالله - الإيمان بالوهيته:

وهو اعتقادُ أنه الإلهُ الحقُّ الذي لا يستحقُّ العبادةَ أحدٌ سواه، وأنَّ كلَّ معبودٍ سواه باطلٌ كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وهذا الإيمانُ يقتضي تخصيصَه بالعبادةِ بأن لا يُصرف شيءٌ منها لغيره تعالى، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] أي: لا نعبد غيرك، وقال: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ [الزمر:٦٦] أي: لا تعبد إلاّ الله. وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

والعبادةُ: هي كلُّ ما يحبُّ اللهُ ويرضاه من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنة.

ويسمَّى (توحيد الألوهية)؛ لأنَّ الألوهيةَ وصفٌ لله تعالى، دلَّ عليه اسمُهُ تعالى (الله) فالله ذو الألوهية.

ويُقال له: (توحيد العبادة)، و(توحيد القصد والطلب) باعتبار أنَّ العبوديةَ وصفٌ للعبدِ حيثُ إنه يجب عليه إفرادُ الله بالعبادةِ والقصدِ مخلصًا في ذلك.

و(توحيد الألوهية) هو:

١- موضوعُ دعوةِ الرسل من أولهم إلى آخرهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

٢- كلُّ رسولٍ يبدأ دعوته لقومه بالأمرِ بتوحيدِ الألوهية كما قال نوحٌ وهودٌ وصالحٌ وشعيبٌ عليهم السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٨٥].

٣- لأنَّ هذا التوحيدَ هو الذي أنكره المشركون من سائرِ الأمم، فكانت الخصومةُ فيه بين الرسلِ وأعدائهم كما قال تعالى عن قوم نبي الله صالح: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود:٦٢].

٤- هذا التوحيدُ هو أوَّل واجبٍ على المكلَّف كما في حديثِ عبدِ الله بنِ عُمرَ -رضي الله عنهما- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنّ مُحَمَّدًا رسُولُ الله» الحديث[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، رقم(٢٥)، ومسلمٌ،كتاب الإيمان، رقم(٢٢).

٥- هو الأساسُ الذي تنبني عليه صحةُ جميع العبادات وبه يتحقق الإخلاص الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

فمن عبد مع الله غيره فذلك الشركُ الأكبرُ الذي يَحْبطُ معه العملُ كما قال تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

ومن أشركَ بالله في نيته في بعض الأعمال -كالرياء- كان ذلك محبطًا لذلك العمل كما في الحديث القدسيّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1].

ولا يزال الصراعُ بين الموحدين-أتباعَ الأنبياء- وأعدائهم من المشركين في توحيدِ العبادة قائمًا حتى الآن، فأهلُ التوحيدِ يدعون من انحرفَ عن توحيدِ الألوهية وعاد إلى دينِ المشركين -بعبادةِ القبورِ والأضرحةِ، وتقديسِ الأشخاصِ، ومنحهم شيئًا من خصائصِ الربوبية، وطلبِ المددِ من الأولياءِ والموتى- يدعون هؤلاء بأن يرجعوا إلى التوحيدِ الذي دعت إليه الرسلُ، وأنْ يتركوا دينَ الجاهلية.

وهذا التوحيدُ قائمٌ على تحقيقِ معنى شهادةِ أن لا إله إلَّا الله والعملِ بمقتضاها.

معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله:

الاعتقادُ والإقرارُ أنه لا يستحقُّ العبادةَ إلَّا اللهُ والتزامُ ذلك والعملُ به، (فلا إله) نفيٌ لاستحقاقِ مَنْ سوى الله للعبادة كائنًا من كان، و(إلَّا الله) إثباتٌ لاستحقاقِ الله وحدَه للعبادةِ.

ومعنى هذه الكلمة إجمالًا: لا معبود بحقٍ إلَّا الله.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

فضلُ شهادة أن لا إله إلاّ الله:

١- تتضمنُ أعظمَ معنًى في الوجود، وهو استحقاقُ الله للعبادةِ، المتضمنُ لألوهيته وربوبيته سبحانه، يقول سبحانه لموسى عليه السلام لما قال له علمني شيئًا أذكرُك وأدعوك به، قال: «قل: لا إله إلا الله»، قال: كلُّ عبادِك يقولونها. فقال سبحانه: «لو أنَّ السمواتِ السبعَ وعامرُهنَّ غيري والأرضين في كِفةٍ ولا إله إلا الله في كِفةٍ لمالتْ بهن لا إله إلا الله»[1].

٢- تتضمنُ أعظمَ قولٍ وأفضلَ مقولٍ، لقوله ﷺ: «خيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير»[2].

٣- أنها مِفْتاحُ دخولِ الإسلام، ولا يقبلُ اللهُ عملًا إلا بها، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

٤- أنها تنجيه من الخلودِ في النارِ: قال ﷺ: «يخرُج مِنَ النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير»[3].

٥- أنها تُدخل الجنة: قال ﷺ: «من كانَ آخرُ كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخلَ الجنة»[4].

إلى غير ذلك من الفضائلِ، وهذه الفضائلُ إنما تتأتى بالالتزام بشروطِها، أما مجردُ معرفتِها فقد كان إبليسُ والمشركون يعرفونها، ومجردُ التلفظِ بها فالمنافقون يتلفظون بها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧١٠)، وابن حبان (١٤/ ١٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، رقم(٣٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم(٤٤).

(٤) أخرجه أحمد برقم(٢١٦٢٢)، وأبوداود: كتاب الجنائز، باب في التعليق، رقم(٣١٦٦).

شروطُ شهادة أن لا إله إلاّ الله:

لابدَّ في (شهادة أن لا إله إلاّ الله) من ثمانيةِ شروطٍ لا تنفعُ قائلَها إلّا باجتماعها، وهي:

* الأوَّل: العلمُ بمعناها نفيًا وإثباتًا.. بحيث يعلمُ القلبُ ما ينطقُ به اللسانُ. قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَم أَنْ لا إِلَه إِلا الله دَخَلَ الجَنَّة»(١).

* الثاني: اليقين: هو كمالُ العلمِ بها المنافي للشكِّ و الريبِ. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥]. وقال ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله لا يَلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلا دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢).

* الثالث: الإخلاصُ المنافي للشرك: قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٣]، وقال ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٣).

* الرابع: المحبةُ المنافيةُ لضدِّها وهو البغضاءُ: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم(٢٦).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم(٢٧).
(٣) أخرجه البخاريُّ، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم(٩٩).

بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[(١)].

* الخامس: الصدقُ المنافي للكذبِ، المانعُ من النفاقِ: قال تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣].

* السادس: الانقيادُ المنافي للتركِ: قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

* السابع: القبولُ المنافي للردِّ: فقد يقولُها من يعرفُها لكنْ لا يقبلُها ممن دعاه إليها تعصبًا أو تكبرًا. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

* الثامن: الكفرُ بما يُعبدُ من دون الله: وهو البراءةُ من دينِ المشركين، وهذا هو مقتضى النفيِّ في كلمةِ التوحيد (شهادة أن لا إله إلّا الله) وهو الكفرُ بالطاغوتِ كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى الله»[(٢)].

فإنْ توفرَ أصلُ هذه الشروط في قائل: (لا إله إلا الله) فلا بدَّ أن يَظْهرَ أثرُ هذه الشهادةِ بتركِ الشركِ، وفعلِ شيءٍ مما دعا إليه رسولُ الله ﷺ مما تختصُّ به شريعتُه، ويمتنعُ -مع توفر هذه الشروط- تركُ جميعِ الأعمالِ فإيمانُ القلبِ يستلزمُ جنسَ عملِ الجوارحِ، وانتفاءُ جنسِ العملِ يستلزمُ عدمَ إيمانِ القلبِ.

فإن توفرت هذه الشروطُ على وجهِ الكمالِ؛ أثمرت فعلَ الواجباتِ والمستحبات،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاريُّ، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم(١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم(٤٣).

(٢) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم (٢٣).

وتركَ المحرماتِ والمكروهات -وقد يقع قائلُها في تركِ واجبٍ أو فعلِ محرمٍ فإن كانت من الصغائر؛ كُفرت بفعلِ الفرائضِ وتركِ الكبائرِ، وإن كانت من الكبائر فتاب منها؛ تاب اللهُ عليه وغفرَ له، ومن لم يتبْ فهو تحت مشيئةِ الله، إن شاء اللهُ غفرَ له وأدخله الجنة، وإن شاء عَذَّبه بقدرِ ذنبه ثم أدخله الجنة، فدخولُ الجنةِ لمن مات على التوحيدِ مقطوعٌ به.

ويتضح مما سبقَ من النصوصِ الردُّ على طائفتين:

* **الطائفة الأولى**: زعمت أن مجردَ معرفةِ القلبِ كافٍ في دخولِ الجنةِ استدلالًا بمثل قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَم أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله دَخَلَ الجَنَّة»[1].

وهو زعمٌ مردود؛ لأن (لا إله إلا الله) كما قُيِّدتْ بالعلمِ قُيِّدَتْ بغيرِهِ؛ كالنطقِ بها والإخلاصِ لله. وهؤلاء هم غلاةُ المرجئةِ، وإمامُهم الجهمُ بن صَفْوان.

* **الطائفة الثانية**: زعمت أنَّ مرتكبَ الكبيرةِ مخلدٌ في النار وإن قال (لا إله إلا الله) بقيودها المذكورة، وهم الخوارجُ والمعتزلةُ، وهو مردودٌ كذلك بدليلِ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وفي حديث أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم(٢٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاريُّ، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، رقم(٥٤٨٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، رقم(٩٤).

الأمر الرابع -مما يتضمنه الإيمانُ بالله- الإيمانُ بأسمائه وصفاته:

أي: إثباتُ ما أثبته اللهُ لنفسِهِ في كتابِهِ، أو أثبته له رسولُهُ ﷺ من الأسماءِ والصفاتِ على الوجهِ اللائقِ به من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ففي هذه الآيةِ نَفَى اللهُ -سبحانه وتعالى- أن يماثلَه شيءٌ، وأثبت أنه سميعٌ بصير، فيسمَّى ويوصفُ بما سمّى ووَصَف به نفسه في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسولُهُ ﷺ، ولا يتجاوزُ الكتابَ والسنةَ في ذلك؛ لأنَّه لا أحدَ أعلمُ بالله من الله، ولا أحدَ بعد الله أعلمُ بالله من رسولِهِ ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠] أي الوصفَ الأكملَ.

وكذلك يجبُ نفيُ ما نفاه الله تعالى عن نفسِه، ونفاه عنه رسولُه ﷺ، وتنزيهُهُ عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ، فنثبتُ له الأسماءَ والصفاتِ مع نفي مماثلتِهِ للمخلوقاتِ إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل.

فهذه طريقةُ سلفِ الأمةِ من الصحابةِ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، وهم أهلُ السنةِ والجماعةِ.

والقاعدةُ في نصوصِ الأسماءِ والصفات أنَّ الإثبات يأتي مفصلًا، والنفي مجملًا -وذلك في الأغلب[1]- فمن الإثباتِ المفصلِ قولُهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

---

(١) ومعنى ذلك أنَّ الإثبات قد يأتي مجملًا، والنفي مفصلًا، ومعنى الإجمال: التعميم والإطلاق، ومعنى التفصيل: التعيين والتقييد، ومثال الإثبات المجمل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ومثال النفي المفصل قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

ومن النفي المجملِ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

وينبغي أن يعلمَ أنَّ كلَّ اسمٍ من أسماءِ الله متضمنٌ لصفةٍ فهي أعلامٌ وصفاتٌ خلافًا للمعتزلة الذين زعموا أنَّ أسماءَ الله أعلامٌ محضةٌ أي لا تدلُّ على معاني.

فمن جحدَ أسماءَ لله وصفاتِهِ، أو سمَّى اللهَ ووصفَه بغيرِ ما سَمَّى ووصفَ به نفسَهُ، أو سماه ووصفه رسولُه ﷺ، أو شبّه أسماءَ الله وصفاتِه بأسماءِ وصفاتِ خلقه، أو أوَّلها عن معناها الصحيح؛ فقد قال على الله بلا علمٍ، وكَذَبَ على الله ورسولِهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١].

والخلاصة:

أنَّ الإيمانَ بالله تعالى المطلوبُ من جميع الثقلين، لا يتمُّ تحقيقه إلا بالاعتقادِ الجازم بأنَّ الله تعالى ربُّ كلِّ شيءٍ، ومليكُهُ، وأنه متصفٌ بصفاتِ الكمالِ والجلالِ، وأنه سبحانه هو المستحقُّ للعبادةِ وحدَه لا شريكَ له، والقيامُ بذلك، علمًا، وعملًا، ولا يتحققُ ذلك إلا باتباعِ خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين محمدٍ ﷺ لا كما يظنُّ الجاهلون والمغالطون أنَّ الإيمانَ بالله يتحققُ بالإيمانِ بوجودِهِ، وربوبيته، دون

الإيمانِ بأسمائهِ وصفاتهِ، وتوحيدهِ في عبادتهِ، ودونَ المتابعةِ لرسولهِ محمدٍ ﷺ، مما جعلهم ينادون بالاتحادِ بين الإسلامِ الحقِّ، القائمِ على التوحيدِ الكاملِ وبين كلِّ دينٍ محرفٍ مبدلٍ؛ فيه من نواقضِ هذا الإيمانِ ما هو من أغلظِ الكفرِ.

وللإيمان بالله تعالى ثمار وآثار مباركة كثيرة منها:

١- تحقيقُ توحيدِ الله تعالى، بحيث لا يتعلَّق العبدُ بغيرهِ رجاءً وخوفًا، ولا يعبدُ إلا هو تعالى.

٢- تحقيقُ الأمنِ والهدايةِ والعزةِ والرفعةِ، والحياةِ الطيبةِ للمؤمنِ في الدنيا والآخرة.

٣- تحقيقُ طاعةِ الله بإتيانِ أوامره واجتنابِ نواهيه، والانقيادُ الاختياريُّ لحكمِهِ الشرعيِّ، فلا يختار المؤمنُ غيرَ ما اختار اللهُ ورسولُه ﷺ له، ولا يتحاكمُ إلى غيرِ كتابه وسنةِ نبيه ﷺ.

٤- الإحسانُ إلى الخلقِ، ورحمتُهم، والعفوُ والصفحُ عنهم؛ طمعًا في إحسانِ الله ورحمتِهِ وعفوِه وصفحِه.

٥- يحققُ محبةَ الله للعبدِ، ويُلْقي محبته في قلوبِ المؤمنين.

٦- حفظُ الله للعبدِ المؤمنِ، قال ﷺ: «**احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تِجَاهَكَ**»[1].

***

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣-٧)، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٥١٦). وقال: حسن صحيح.

الركن الثاني:

الايمان بالملائكة

تعريف الملائكة:

لغةً: الملائكةُ جمعُ مَلَك -بفتح اللام-، واشتقاقه من الألُوكة والمألُكة، وهي الرِّسالة، فمَلَك أصله مألك -بزنة مَفْعَل- وجمعه ملائكة -بتقديم اللام على الهمزة-، فظهر أنَّ لفظ الملائكة يدلُّ لغةً على الإرسال[1]، وهم كذلك كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١].

واصطلاحًا: عَالَمٌ غيبيٌّ مخلوقونَ مربوبون مدَّبرون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائصِ الربوبيةِ والألوهيةِ شيءٌ، خَلَقَهم اللهُ تعالى من نورٍ، ومنحهم الانقيادَ التامَّ لأمرِه، والقوةَ على تنفيذِه.

وهذا التعريفُ مستفادٌ من جملةِ النصوصِ الواردةِ في كتابِ الله عز وجل، وفي السنة النبوية في الحديثِ عن الملائكة، مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ[2] مِنْ

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٣٩٢) مادة: ألك.

(٢) لهب صاف لا دخان فيه.

نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ[(١)]»[(٢)].

الإيمانُ بالملائكةِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ:

* **الأول:** الإيمانُ بوجودِهم حقيقةً، وأنهم قائمون بأنفسِهم، يذهبون ويجيئون، ويصعدون ويهبطون، ويقومون بما يأمرُهم اللهُ به أتمّ قيام.

* **الثاني:** الإيمانُ بمن سُمِيَ منهم باسمه؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومن لم نعلمْ اسْمَه نؤمنُ بهم إجمالًا.

* **الثالث:** الإيمانُ بما أخبرَ اللهُ به ورسولُهُ ﷺ من صفاتهم، وهذه الصفاتُ تنقسمُ إلى قسمين:

١- صفات خِلْقية.

٢- صفات خُلُقية.

أ- فمن الصفات الخِلْقية:

* **أوَّلًا:** أنَّ لهم أجنحةً: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثةٌ، ومنهم من له أربعةٌ، ومنهم من له أكثرُ من ذلك، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١] ومنهم من له ستمائة جناحٍ كجبريل فقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلِقَ عليها وله ستمائة جناحٍ قد سدَّ الأفق[(٣)].

---

(١) أي كما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز في مواضع متعددة: بأنه من تراب وماء أي طين قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧].

(٢) أخرجه مسلم في، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٠٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم (١٧٤).

ومن المعلوم أنَّا لا نعلمُ الكيفيةَ التي خُلقَ عليها الملائكةُ ولا كيفيةَ أجنحتهم؛ فمن يَرْسُمُ صورًا بأجنحةٍ يزعم أنها صورُ الملائكة فهو مفترٍ وقائلٌ على الله ما لا يعلم، وحسبنا أن نؤمنَ أنَّ الملائكةَ ذوو أجنحةٍ كما ذكرَ اللهُ في كتابه، وأخبر به رسولُه ﷺ.

* ثانيًا: لا يأكلون ولا يشربون: واستدلَّ العلماءُ على ذلك بقوله تعالى عن ضيفِ إبراهيمَ من الملائكةِ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠].

* ثالثًا: لهم قدرةٌ على التمثُّلِ: فجبريلُ تمثلَ لمريمَ بشرًا سويًا، وجاء مرةً إلى النبي ﷺ في صورةِ أعرابيٍّ، ومرةً في صورةِ رجلٍ غريبٍ، وكثيرًا ما يتمثلُ بصورةِ دحيةَ الكلبيِّ الصحابي الجليل[1]، وكذلك الرسل الذين جاؤوا إلى إبراهيمَ ولوطٍ -عليهم السلام- تمثلوا بصورةِ رجالٍ غرباء.

ب- الصفات الخُلُقية:

* أولًا: طاعتُهم لله قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

* ثانيًا: عبادتُهم لله بالصلاة والتسبيح قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦].

* ثالثًا: محبتُهم للمؤمنين واستغفارُهم لهم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٨).

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ»(١).

* رابعًا: الحياءُ، كما جاء في الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أَلا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»(٢).

الرابع: الإيمانُ بما أخبر اللهُ به ورسولُه ﷺ من أعمالهم التي وُكِّلوا بها، وهم في ذلك أصناف كثيرة، منها:

١- مَنْ وُكِّل بالوحي إلى الأنبياءِ وهو جبريلُ، وقد سماه الله روحًا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤].

٢- ومنهم ميكائيل، وقد اشتهرَ عند العلماء أنه موكَّلٌ بالنباتِ والقَطْرِ، وجاءت في ذلك آثارٌ عن السلف، ورُوي في ذلك حديث مرفوع(٣).

٣- ومنهم إسرافيل، وقد أجمعَ العلماء أنه موكَّلٌ بالنفخ في الصورِ المذكورِ في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاريّ، كتاب الأدب، بابُ المِقَةِ مِنَ الله تعالى، رقم (٥٦٩٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده، رقم (٢٦٣٧).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه، رقم (٢٤٠١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب (العرش) (ص:٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٧٧) وفي إسناده مقالٌ.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨](١).

وهؤلاء الثلاثةُ تضمنهم دعاءُ الاستفتاحِ الذي كان رسولُ الله ﷺ يدعو به في قيامِ الليل فعن أبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ: «اللهمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٢).

وفي ذكرِ أسماءِ الثلاثة (جبريل، وميكائيل، وإسرافيل) ما يدلُّ على أفضليةِ هؤلاء الملائكةِ الثلاثةِ وكرامتِهم عند الله عزَّ وجلَّ. وقد خصّ اللهُ تعالى جبريلَ وميكائيلَ بالذكر في القرآنِ الكريم، وهذا تنويهٌ على أنهما من أكابر الملائكةِ قال اللهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

٤- من وُكِّلَ بحملِ العرشِ قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

٥- خَزَنَةُ الجنةِ والنارِ، كما قال تعالى في أهلِ النارِ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١]. وقال في أهل الجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ

(١) انظر: التذكرة للقرطبيّ (١/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم(٧٧٠).

إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

٦- مَنْ وُكّل بحفظِ العبدِ وكتابةِ عملهِ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

٧- مَنْ وُكّلَ بقبضِ أرواحِ العبادِ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٢٨].

يتبينُ مما تقدمَ عِظَمُ شأنِ الملائكةِ في هذا الوجود، وعظمُ صلتهم وتأثيرِهم في هذا العالم العلويّ والسفليّ، وبالإنسانِ حيًّا وميتًا، وللإمام ابنِ القيّم تعليقٌ حسنٌ يناسب المقام؛ قال -رحمه الله- بعد ذكر أصنافِ الملائكةِ وأعمالهم وعلاقتهم بالإنسان: «والملائكةُ الموكّلةُ بالإنسانِ -منْ حينِ كَوْنه نطفةً إلى آخرِ أمره- لهم وله شأنٌ آخر؛ فإنهم مُوكّلون بتَخليقه، ونقلهِ من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ، وتصويرِه، وحفظهِ في أطباقِ الظلماتِ الثلاثِ، وكتابة رِزقه، وعملهِ، وأجلهِ، وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميعِ أحوالهِ، وإحصاءِ أقوالهِ وأفعالهِ، وحفظهِ في حياته، وقبضِ روحه عند وفاته، وعرضِها على خالقِه وفاطرِه، وهم الموكّلون بعذابهِ ونعيمهِ في البرزخ، وبعدَ البعثِ، وهم الموكلون بعملِ آلاتِ النعيمِ والعذاب.

وهم المثبِّتون للعبدِ المؤمنِ بإذنِ الله، والمعلِّمون له ما ينفعُه، والمقاتلون الذابُّون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يَعِدُونه بالخيرِ ويدعونه إليه، وينهونه عن الشرِّ ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصارُه، وحفظته، ومعلِّموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يُصَلُّون عليه ما دام في طاعةِ ربه، ويُصَلُّون عليه ما دام يعلمُ الناسَ الخيرَ، ويبشرونه بكرامةِ الله تعالى في

منامه، وعند موته، ويوم بعثه...»[1].

وبعد: فكلُّ ما تقدمَ عن الملائكةِ هو اعتقادُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وقد ضلّ في شأنِ الملائكةِ ثلاثُ طوائف:

* الأولى: المشركون الذين عبدوهم من دون الله، وزعموا أنهم بناتُ الله كما أخبر الله -سبحانه وتعالى- بذلك عن المشركين، وأنكر عليهم ذلك ووبّخهم في مواضع من القرآن كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الصافات:١٤٩-١٥٧].

* الثانية: الفلاسفةُ الإلهيون القائلون بالعقولِ العشرةِ زعموا أنها هي الملائكة، وقولُهم أقبحُ من قولِ المشركين فإنَّ هذه العقول التي يدّعونها لا حقيقةَ لها، والملائكةُ ليسوا عشرةً بل هم كثيرٌ لا يُحصي عددَهم إلَّا الله.

* الثالثة: بعضُ طوائفِ المتكلمين والفلاسفة زعموا أنَّ الملائكةَ قُوَى الخير في الإنسان، وكذلك الشياطين هي قوى الشرّ[2]، وهذا يقتضي أنهم صفاتٌ للإنسان ليسوا خلقًا قائمين بأنفسهم، وهو قولٌ ظاهرُ البطلان؛ لأنّه مناقضٌ لما دلت عليه نصوصُ الكتابِ والسنةِ من أنَّ الملائكةَ عَالَمٌ من عالـمِ الغيب، متميزون بذواتهم وصفاتِهم وأعمالِـهم كما تقدم.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٨).

وللإيمانِ بالملائكةِ ثمارٌ وآثارٌ مباركةٌ كثيرةٌ منها:

١- شكرُ الله تعالى على عنايته بالعبادِ حيث وكّل الملائكةَ بحفظهم.

٢- تحقيقُ الإيمانِ بالغيب.

٣- التأدبُ والحياءُ؛ لاستشعار قربهم وملازمتهم للإنسان في أحوالٍ كثيرةٍ، وتجنب كلِّ ما يؤذيهم من الأقوالِ، والأفعالِ، والأحوالِ، وبذلك يعيشُ المؤمنُ طاهرُ القلبِ، واللسان، والجوارح.

٤- ملازمةُ الطاعةِ واجتنابُ المعصيةِ؛ رغبةً في كتابتهم الخيرَ والشهادةَ عليه، ورهبةً من كتابةِ خلافه والشهادة عليه.

٥- الطمأنينةُ في المواطنِ التي يحضرونها ويصلّون فيها على المؤمنِ رجاءَ بركةِ حضورِهم وتحصيلِ المزيدِ من دعائِهم وصلاتِهم.

* * *

الركن الثالث:

الإيمان بالكتب

تعريف الكتب:

الكُتُب: جمع كتاب بمعنى مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها اللهُ تعالى على رسلِهِ رحمةً للخلقِ، وهدايةً لهم، ليخرجَ بها من شاء من الظلماتِ إلى النور.

ومعنى الإيمان بالكتب: التصديقُ الجازمُ بأنَّ الله تعالى أنزل كتبًا على من شاء من رسلِهِ وأنبيائه فيها الأخبارُ، والقصصُ، والمواعظُ، والأوامرُ، والنواهي، والوعدُ، والوعيدُ، وأنَّ الله تكلمَ بهذه الكتبِ كيف شاء.

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

* الأول: الإيمانُ بها إجمالًا وأنها كلُّها منزلةٌ من عندِ الله حقًّا، قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

* الثاني: الإيمانُ بما سُمِّيَ لنا منها على وجه الخصوص؛ كالتوراةِ، والإنجيلِ والزبورِ، وصحفِ إبراهيمَ وموسى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران:٢-٤]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

* الثالث: الإيمانُ بما في هذه الكتبِ إجمالًا، وبما أخبرنا اللهُ ورسولُه ﷺ به مما اشتملت عليه خصوصًا كما قال تعالى في التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥].

وقال تعالى في صحفِ موسى وإبراهيم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٦-٣٩].

* الرابع: الإيمانُ بهذا القرآنِ المنزلِ على خاتمِ النبيين وأنه أشرفُ وآخرُ كتابٍ نَزَلَ من عندِ الله، وأنه ناسخٌ لما سبقه من الكتب، وأنه حاكمٌ عليها، وأنه الذي يجبُ اتباعُه بتصديقِ أخباره، وبإحلالِ حلاله، وتحريمِ حرامه، والعملِ بأوامرِه ونواهيه، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن:٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]. أي: حاكمًا وأمينًا عليه.

ومما يجبُ اعتقادُه أنَّ هذا القرآنَ كافٍ عمّا تقدمه من الكتبِ؛ كالتوراةِ والإنجيل، فلا يجوزُ النظرُ فيها طلبًا للهدى، ويجبُ الاستغناءُ به عنها، ولذلك غَضِبَ النبيُّ ﷺ حين رأى مع عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قطعةً من التوراةِ ينظرُ فيها وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، ولَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[1].

وفي لفظٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والبيهقيّ في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠)، وصححه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١/ ٢١٥).

لَضَلَلْتُمْ إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»[1].

الغايةُ من إنزالِ الكتب:

أُنزلتْ الكتبُ السماويةُ كلُّها لغايةٍ واحدةٍ: وهي أن يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريك له، وهدايةً للعبادِ؛ ليصلوا باتباعها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، فمن اتبع هدى الله كان من المهتدين المفلحين، ومن أعرضَ كان من الأشقياءِ الضالين، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية:

تتفقُ الكتبُ السماويةُ في وَحْدةِ المصدرِ، ووحْدةِ الغايةِ، وأصولِ العقيدةِ، وقواعدِ التشريعِ العامة؛ كالعدلِ، والقسطِ، وأداءِ الحقوق، والنهي عن الفسادِ والانحرافِ، والدعوةِ إلى مكارمِ الأخلاقِ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

وتختلفُ الكتبُ السماويةُ في الشرائعِ قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «فالدينُ واحدٌ؛ وإنما تنوعت شرائعُهم ومناهجُهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فالرسلُ متفقون في الدينِ الجامعِ للأصولِ الاعتقاديةِ والعمليةِ: فالاعتقاديةُ؛ كالإيمانِ بالله وبرسولهِ وباليومِ الآخرِ. والعمليةُ: كالأعمالِ العامةِ المذكورةِ في الأنعام، والأعراف،

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٠).

وسورة بني إسرائيل كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] إلى آخر الآيات الثلاث، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] إلى آخر الوصايا، وقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع»[1].

وللإيمانِ بكتبِ الله المنزّلة ثمارٌ وآثارٌ مباركةٌ عديدةٌ، منها:

١- العلمُ بعنايةِ الله تعالى بعباده حيث أنزلَ لكلِّ قومٍ كتابًا يهديهم به.

٢- عبادةُ الله على بصيرةٍ.

٣- العيشُ مع القرآنِ، والتعبدُ بتلاوته وحفظه، والعملُ به، وإقامةُ حدوده.

٤- تربيةُ النفوسِ بحسب أوامره وتوجيهاته.

* * *

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥٩).

الركن الرابع:

الإيمان بالرسل

تعريفُ النبيِّ والرسولِ والفرقُ بينهما:

النبي لغةً: مشتق من النبأِ وهو الخبرُ الذي له شأنٌ، وإنما سُمي النبيُّ نبيًّا؛ لأنه مُخْبَر، ومُخبِر، «مُخْبَر»: أي أن اللهَ أخبرَهُ وأوحى إليه، و«مُخبِر»: أي يخبر عن الله تعالى وحيه وأمره، وقيل: النبوة مشتقة من النَّبوة: وهي ما ارتفعَ من الأرض[1].

والرسولُ في اللغة: مأخوذٌ من الإرسالِ وهو: البعثُ بأمرٍ؛ كالبعثِ بالكتاب.

وأمّا في الاصطلاح: فالمشهورُ أنَّ الرسولَ هو من أُوحِيَ إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه، والنبيُّ هو من أُوحِيَ إليه ولم يؤمر بالبلاغ.

وعلى ذلك فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍ رسولًا.

وقيل: إنَّ الرسولَ من أرسلَ إلى قومٍ كفار؛ كنوحٍ وهودٍ وموسى، والنبيُّ من أرسل إلى قومٍ مؤمنين كأنبياء بني إسرائيل مثل: زكريا ويحيى.

وعلى هذا فالنبيّ والرسولُ كلٌّ منهما مرسلٌ يدل لهذا قولُه تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢][2].

حكمة إرسال الرسل:

لما كان العقلُ البشريُّ لا يتمكنُ من عبادةِ الله -تعالى- على الوجه الذي يرضاه ويحبه، وكذلك لا يستطيعُ التنظيمَ والتشريعَ المناسبَ للأمةِ على اختلافِ طبقاتها؛ إذ لا يحيطُ بذلك إلا اللهُ وحده؛ كان من حكمةِ الله ورحمتِهِ أن أرسلَ

---

(١) لسان العرب (١/ ١٦٢) مادة: نبأ.

(٢) النبوات لابن تيمية (ص:١٨٤).

الرسلَ وأنزلَ الكتبَ لإصلاحِ الخلقِ وإقامةِ الحجةِ عليهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

فالرسلُ يدعون الناسَ إلى ما ينفعُهم في الدنيا والآخرة من عبادةِ الله وحدَه لا شريكَ له، وطاعتِه في أمرِه ونهيه، ويبينون للناسِ ما يضرُّهم في الدنيا والآخرة من الشرك به تعالى وسائر ما نهى الله عنه.

ففي إرسالِ الرسلِ إقامةُ الحجةِ على الخلق حتى لا يحتجَّ أحدٌ على الله فيقول: ما جاءني من رسولٍ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:٤٧].

الإيمانُ بالرسل يتضمن أمورًا:

* الأول: الإيمانُ بجميعِ الرسلِ إجمالًا، وأنهم رسلُ الله حقًّا فمن كَفَرَ برسالةِ واحدٍ منهم؛ فقد كَفَرَ بالجميعِ كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥].

فجعلَهم اللهُ مكذبين لجميعِ الرسل، مع أنه لم يكنْ رسولٌ غيرُه حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمدًا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيحِ بن مريم غيرُ متبعين له أيضًا، لاسيما وأنه قد بشَّرَهم بمحمدٍ ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسولٌ إليهم يُنقذُهم اللهُ به من الضلالةِ، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم.

وقد تتابعت الرسلُ إلى البشريةِ من نوحٍ إلى محمدٍ، وتتابعت البشريةُ على تكذيبِ رسلِ الله إلَّا من شاء الله منهم، فحلت بالمكذبين العقوباتُ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٤]، وقد فصل الله ذلك في قصص الأنبياء.

ومما يجبُ اعتقادُه في أنبياءِ الله ورسله أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، ومعصومون من كبائرِ الذنوب ومن كلِّ ما يدنسُ أخلاقَهم، وينفرُ عن دعوتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤] ونقَلَ الإجماعُ على عصمتهم في التحملِ والتبليغ جمعٌ من أهلِ العلمِ منهم ابنُ تيمية[١].

* الثاني: الإيمانُ بمن علمنا منهم تفصيلًا وبما صَحَّ من أخبارِهم ممن سماهم اللهُ في القرآن وهم خمسةٌ وعشرون نبيًا.

فأوّل النبيين آدمُ، وأولُ الرسل نوحٌ، وخاتمُ النبيين والمرسلين محمدٌ ﷺ، وهم متفاضلون قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وأفضلُهم أولو العزمِ من الرسلِ وهم: نوحٌ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧].

وأفضلُهم على الإطلاقِ نبينا محمدٌ ﷺ خاتمُ النبيين، وسيدُ المرسلين وقد ثبتَ عنه قوله: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢] وله من الفضائل والخصائصِ ما ليس لسائر النبيين من ذلك قوله ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[٣].

ولا ينافي هذا ما جاء في الأحاديثِ الصحيحةِ عن رسولِ الله ﷺ من النهي

(١) انظر: مجموع الفتوى (٤/ ٣١٩، ١٠/ ٢٩١، ٢٠ / ٨٩)، كتاب الاستغاثة (ص: ٦٢٢).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ، رقم(٢٢٧٨).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب منه، رقم(٥٢٣).

عن التفضيلِ بين الأنبياءِ مثلُ قولِهِ ﷺ: «لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله»(١)؛ فإنَّ هذا النهيَ محمولٌ على ما إذا كان التفضيلُ على وجه الحميةِ والعصبيةِ أو على وجهِ التنقصِ للمفضول.

* الثالث: الإيمانُ إجمالًا وتفصيلًا بما جاء به نبينا محمدٌ ﷺ من الكتابِ والحكمةِ، وما أُرسِلَ به من الهدى ودينِ الحقِّ، وأنه رسولُ الله إلى جميعِ الناسِ، وأنه خاتم النبيين فلا نبيَ بعده، فهو حجةُ الله على عبادهِ إلى يومِ القيامةِ، وأنه لا طريقَ إلى الله وإلى جنته إلَّا باتباعه ﷺ فلم يبقَ رسولٌ يجبُ اتباعُهُ سوى محمدٍ ﷺ ولو كان أحدٌ من أنبياءِ الله حيًّا لما وسعه إلا اتباعُهُ ﷺ، ولهذا إذا نزلَ المسيحُ ابنُ مريم في آخرِ الزمان حَكَمَ بشريعةِ محمدٍ ﷺ، فلا يسعُ أحدًا الخروجُ عن شريعةِ الإسلامِ لا اليهودُ ولا النصارى ولا غيرُهم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٩].

* الرابع: الإيمانُ بمعجزاتِ الرسلِ وبيناتهم: لقد أرسلَ اللهُ الرسلَ بالبيناتِ وهي الآياتُ والبراهينُ الدالةُ على صدقهم، فما من نبيٍّ إلَّا وقد جاء بما يدلُّ على أنه رسولٌ من عندِ الله مما يقتضي الإيمانَ به كما في الحديث: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى الله إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وبيناتُ الأنبياء أنواعٌ، ومنها الخوارقُ التي يُجريها اللهُ على أيديهم وهو ما

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، رقم (٣٢٣٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي رقم (٤٦٩٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٢).

يسمى عند أهل الكلام بـ«المعجزات» ولا تتوقفُ النبوةُ على هذا النوعِ خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: إنَّ النبوةَ لا تثبتُ إلَّا بالمعجزة، ومن هذه المعجزاتِ ما أجراه اللهُ على يدِ موسى من جَعْلِ عصاه ثعبانًا مبينًا، ثم ابتلاعِها حبالَ سحرةِ فرعون وعصيَّهم. وكذلك إدخالُ يدِه في جيبه ثم إخراجُها وهي بيضاءُ من غيرِ سوءٍ، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٠٧-١٠٨]، ومنها الناقة التي أخرجها الله تصديقًا لنبيه صالح قال الله تعالى في شأن قصة صالح عليه السلام مع قومه: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء:١٥٣-١٥٩].

ولنبينا من الدلائلِ على نبوته ما لا يُحصَى من الخوارقِ مثلُ انشقاقِ القمرِ وتكثيرِ الطعامِ والشرابِ والإخبارِ بالمغيبات وغيرها، وأعظم ذلك القرآن.

ودلالةُ القرآنِ على نبوةِ محمدٍ ﷺ من ثلاثةِ أوجه:

١- أنَّه أميٌّ لا يكتبُ ولا يقرأُ المكتوبَ، ومع ذلك جاء بهذا القرآنِ العظيمِ المشتملِ على الشرائعِ القويمةِ، والأنباءِ العظيمةِ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨].

٢- ما اشتمل عليه من قصصِ الأنبياءِ مما هو من عِلْمِ الغيب كما قال تعالى بعد قصة نوح: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:٤٩].

٣- إعجازُ القرآنِ للبشريةِ -بل للثقلين- أن يأتوا بمثلِهِ أو بعشرِ سورٍ مثله،

أو سورةٍ من مثله، أو آيةٍ من مثلِهِ، ولهذا تحدَّاهم اللهُ بذلك فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود:١٣]، وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣].

وللإيمانِ برسلِ الله وأنبيائه ثمارٌ وآثارٌ عظيمةٌ، منها:

١- الأنبياءُ والرسلُ قدوةٌ حيةٌ للمبادئِ والقيمِ التي يدعون إليها، فالمؤمنُ بهم ينبغي أن يتخذَهم المثلَ الأعلى في الحياةِ، وأن يحتذيَ سِيرَهم. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

٢- اليقينُ بحُسْنِ عاقبةِ المتقين المطيعين لله والصابرين، كما تبيّن ذلك من قصصهم مع أقوامِهم وانتصارِهم على أعدائهم.

٣- توقيرُ أنبياءِ الله ورسلِهِ وتعظيمِهم، ومحبتِهم والثناءِ عليهم بما يستحقونه.

* * *

الركن الخامس:

الإيمان باليوم الآخر

اليومُ الآخر: يومُ القيامةِ الذي يبعثُ اللهُ الناسَ فيه للحسابِ والجزاءِ، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنه لا يومَ بعده، حيث يستقرُّ أهلُ الجنةِ في منازِلهم وأهلُ النارِ في منازلهم.

وله أسماءٌ كثيرةٌ منها: يومُ الفصلِ، ويومُ التلاقِ، يومُ البعثِ، ويومُ الحساب، ويومُ الآزفةِ، وغيرث ذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [ص:٥٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٥٦].

الإيمان باليوم الآخر يتضمنُ أموراً:

- **الأوّل: الإيمانُ بكلِّ ما يكونُ بعدَ الموتِ من فتنةِ القبرِ، وعذابِ القبرِ ونعيمِهِ:**

(أ) فتنةُ القبرِ: وهي سؤالُ الميتِ بعد دفنهِ عن ربهِ ودينهِ ونبيهِ، فيثبِّت اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ، فيقول: ربي اللهُ، وديني الإسلامُ، ونبيي محمدٌ ﷺ، ويضلُّ اللهُ الظالمين فيقولُ الكافرُ: هاه هاه لا أدري. ويقول المنافقُ أو المرتاب: لا أدري سَمِعْتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلته.

(ب) عذابُ القبرِ ونعيمُه: فأما عذابُ القبر: فيكونُ للظالمين من المنافقين والكافرين وبعض العصاة، قال الله تعالى في -آل فرعون-: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

وفي حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قال ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ القبر[1].

وأما نعيمُ القبرِ فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

ولهذه الأدلةِ ذهبَ أهلُ السنة والجماعة إلى الإيمانِ بفتنةِ القبرِ وعذابِ القبرِ ونعيمه مفوِّضين علمَ حقيقةِ ذلك إلى الله، فإنَّ الإيمانَ بأحوالِ القبورِ هو من الإيمانِ بالغيبِ الذي هو مناطُ التكليفِ وما يترتبُ عليه من ثوابٍ أو عقابٍ، ولهذا أثنى اللهُ به على المتقين فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢-٣].

وقد أنكرَ قومٌ من المتكلمين والزنادقةِ عذابَ القبرِ ونعيمهِ واحتجوا بأنّه لو كُشف عن الميتِ في قبره لوجدَ كما كان عليه، والقبرُ لم يتغيرْ بسعةٍ ولا ضيقٍ.

وهذه الحجةُ باطلةٌ فإنها مبنيةٌ على الاحتجاجِ بالحسِّ في معارضةِ نصوصِ الغيبِ التي يجبُ التسليمُ لها، وحواسُّنا لا تدركُ ما حولنا إلّا ما قُدِّرَ لها، فنحن نؤمن بأنَّ الملائكةَ الموكلين بحفظِ العبادِ وكتابةِ أعمالهم معنا، ولا ندركُهم بشيءٍ من حواسنا.

- **الثاني: الإيمان بالبعث:**

وهو إحياءُ الموتى حين يُنفخُ في الصورِ النفخةَ الثانيةَ، فيقومُ الناسُ لربِّ العالمين، حفاةً غير متنعلين، عراةً غيرَ مستترين، غرلًا غيرَ مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (٦٨٦٧).

والبعثُ: حقٌّ ثابت دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ وإجماعُ المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ : [المؤمنون:١٥-١٦]، وقال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»(١).

وأجمعَ المسلمون على ثبوته.

وقد أنكرَ الكافرون المكذبون للرسلِ البعثَ مستبعدين أنْ يعيدَهم اللهُ خلقًا جديدًا بعد أن كانوا ترابًا وعظامًا، وقد حكى اللهُ ذلك عنهم في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]، وردَّ عليهم بما يعلمون ويشاهدون من خلقِ السموات والأرض، وخلقِ الإنسان، وإحياءِ الأرض بعد موتها ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس:٧٧-٨١].

- **الثالث: الإيمانُ بالحسابِ والجزاءِ:**

يحاسَبُ العبدُ على عمله، ويجازَى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتابُ، والسنةُ، وإجماعُ المسلمين، ويدخل في ذلك الإيمانُ بالميزانِ، وبصحفِ الأعمالِ فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:٧-

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري،كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم(٦١٦٢)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم(٢٨٥٩).

١١]، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وفي حديث عديٍّ بن حاتمٍ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ الله لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1].

وقد أجمعَ المسلمون على إثباتِ الحسابِ والجزاءِ على الأعمالِ، وهو مقتضى الحكمةِ فإنَّ اللهَ تعالى أنزلَ الكتبَ، وأرسلَ الرسلَ، مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكونَ للناسِ على الله حجةٌ بعد الرسلِ، أرسلَهم يدعون الناسَ إلى عبادةِ الله وحدَه لا شريك له، وفَرَضَ على العبادِ الإيمانَ بهم وطاعتَهم واتباعَ ما جاءوا به فكان الناسُ في هذه الدعوةِ فريقين: فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، وقد وعدَ اللهُ المؤمنين بالنصرِ والنجاةِ والفلاحِ والفوزِ بمغفرةِ الله وكرامتِه، وتوعدَ الكافرين بالخسرانِ المبين والعذابِ الأليم، فلو تركَ اللهُ العبادَ لا يأمرُهم ولا ينهاهم ولا يجزيهم على أعمالهم كان خلقُهم عبثًا، ولو أمرهم ونهاهم من غير أنْ يجزيَهم على أعمالهم؛ للزم من ذلك التسويةُ بين المؤمنين والكفار، والأبرارِ والفجارِ. قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٧-٢٨].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، رقم (١٣٤٧)، و مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم(١٠١٦).

ومما يؤمن به أهلُ السنةِ والجماعة مما يكونُ في موقفِ يوم القيامةِ الحوضُ لنبينا ﷺ، قال ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ[(١)] كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا»[(٢)].

كما يؤمنُ أهلُ السنة والجماعة بالشفاعةِ العظمى لنبينا ﷺ لأهلِ الموقفِ ليقضَى بينهم[(٣)]، وينتهي ذلك اليومُ بالعبورِ على الصراطِ وهو جسرٌ على مَتْنِ جهنم وهو أَحَدُّ من السيفِ وأدقُّ من الشَعْرِ، ويسير الناسُ فيه حَسْبَ أعمالهم كما جاء في الأحاديثِ عن النبيِّ ﷺ[(٤)].

- **الرابع: الإيمان بالجنة والنار:**

وأنهما موجودتان الآن، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان؛ فأمَّا الدليلُ على وجودِهما فقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقوله في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، وسائرُ أدلةِ عذابِ القبرِ ونعيمهِ تدلُّ على وجودِ الجنةِ والنارِ.

وأمَّا الدليلُ على دوامِهما فمثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٦-١٠٨]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الموضعين

---

(١) كيزانه: جمع كوز، ويجمع على أكواز وكيزان، وهو: ما اتسع رأسه من أواني الشراب إذا كانت بِعُرَى. مشارق الأنوار (١/ ٣٤٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم(٦٢٠٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم(٢٢٩٢).

(٣) انظر: البخاري، كتاب التفسير، باب عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا، رقم(٤٤٤١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم(١١٨٤).

(٤) انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط متن جهنم، رقم(٦٢٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيها، رقم (١٨٨).

فمعناه أنّ خلودَ أهلِ النارِ فيها، وخلودَ أهلِ الجنةِ فيها وبقاؤهما فبمشيئةِ الله سبحانه وتعالى فهما باقيتان بإبقاء الله لهما.

وأنهما المصيرُ الأبديُّ للمكلفين، فالجنةُ: دارُ النعيم التي أعدَّها اللهُ للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بالله ورسلِه، وأطاعوا اللهَ ورسولَه، مخلصين العبادةَ لله متبعين لرسوله ﷺ، فيها من أنواع النعيم مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧-٨].

وأما النارُ: فهي دارُ العذابِ التي أعدَّها اللهُ تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها أنواعُ العذابِ والنكالِ -نعوذ بالله من النار-.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

وللإيمانِ باليومِ الآخر ثمارٌ وآثارٌ مباركةٌ كثيرةٌ، منها:

١- معرفةُ حقيقةِ الحياةِ الدنيا وأنها متاعُ الغرور، وأنها جسرٌ للآخرة التي فيها الحياةُ الحقيقية؛ قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤].

٢- الاجتهادُ في كثرةِ العملِ الصالحِ والاستزادةُ منه رجاء ثِقْلِهِ في الموازينِ يومَ القيامة.

٣- زيادةُ الاشتياقِ لدخولِ الجنة ورؤيةِ وجهِ الله سبحانه تعالى.

٤- كثرةُ ذكرِ الموتِ، والاستعدادُ للوقوفِ بين يدي الله عزّ وجلّ.

٥- الحذرُ من المعاصي والمخالفاتِ والبدعِ والظلمِ، وملازمةُ التوبةِ النصوحِ من الخطيئات حذرًا من عقوبتها في الآخرة.

٦- تسليةُ المؤمنِ عما يفوته من نعيمِ الدنيا ومحابِّها ومتاعها بما يرجوه عندَ الله من عظيمِ نعيمِ الآخرةِ.

٧- الأخذُ بأسبابِ حُسْنِ الخاتمة.



الركن السادس:

الإيمان بالقدر

تعريف القدر لغة وشرعًا:

القَدَرُ لغةً: مصدرُ قَدَرَ يقدر قَدَرًا -وقد تسكن داله-، ويطلقُ تارةً على التقديرِ، وتارةً على المقدّر[1]، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، ومن الثاني قوله ﷺ: «قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[2].

وشرعًا: تقديرُ الله للكائناتِ في علمهِ وكتابته تقديرًا مفصلًا يشملُ مواقيتَها وصفاتِها وأعدادَها وأنواعَها وآجالها ونهايتها، وما شاء سبحانه وتعالى.

والقضاءُ لغةً: مصدر قضى يقضي قضاءً، وهو في اللغةِ يطلقُ على معانٍ منها: الفراغُ من الفعلِ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٠٣]، ومنها الحكم ومنه قوله ﷺ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ»[3].

وهو كالقدرِ تارةً يطلقُ على المقْضِي، وتارةً على القضاءِ بالمعنى المصدري وهو الحُكم، فمن الأوّل قولُك فيما يحدث: هذا قضاءٌ أي مقضي، ومن الثاني قولهم: يجب الرضا بالقضاء أي بحكمه سبحانه وتعالى[4].

---

(١) النهاية (٤/ ٢٢)، القاموس المحيط (ص:٥٩١)، مادة: قدر.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة، رقم(٢٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، بابٌ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾، رقم(٤٤٢٤).

(٤) ولا فرق بين القَدَر والقضاء عند بعض العلماء، وفرّق آخرون بينهما فقالوا: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، و القَدَر هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق، وقيل: إذا اجتمعا افترقا بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول غير الآخر -كما في الفرق السابق-، وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر.

والصواب عدم التفريق بينهما؛ لأنه لا يوجد دليلٌ واضحٌ من الكتاب والسنة يدل على التفريق. انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه تأليف: د.عبدالرحمن المحمود (ص:٣٠-٣٣).

والقضاءُ من الله نوعان: كونيٌّ وشرعيٌّ، فالكونيُّ كقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧]، والشرعيّ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

الإيمانُ بالقدرِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ -وهي مراتبُ القدرِ-:

- **الأول: الإيمانُ بعلمِ الله القديم:**

وهو الإيمانُ بأنَّ الله تعالى عَلِمَ بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، أزلًا وأبدًا، بما في ذلك أفعالُ العبادِ طاعتُهم ومعاصيهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢].

- **الثاني: الإيمان بالكتاب الأوَّل:**

وهو الإيمانُ بأنَّ الله َكتبَ ما سبق به علْمه من مقاديرِ الخلائقِ إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ -وهو أمُّ الكتاب-، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٢٢].

وعن عبدِ الله بنِ عمروِ بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[1].

- **الثالث: الإيمانُ بعمومِ المشيئة:**

وهي الإيمانُ بأنَّ جميعَ الكائناتِ لا تكونُ إلا بمشيئةِ الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلقُ بفعله أم مما يتعلق بفعلِ المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلقُ بفعله:

---

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٣).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]. وقال تعالى فيما يتعلقُ بفعلِ المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٧].

▪ **الرابع: الخلق:**

وهو الإيمانُ بأنَّ جميعَ الكائناتِ مخلوقةٌ لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال اللهُ تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

ويجبُ مع الإيمانِ بالقدرِ المتضمنِ للمراتبِ الأربعِ الإيمانُ بحكمته - سبحانه وتعالى- في أقدارِه وهو أنّ كلَّ ما قدره تعالى فهو لحكمةٍ يعلمها، وفعله - سبحانه وتعالى- كلّه حَسَنٌ وَخيرٌ وحِكمةٌ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣]، وقال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر:٥].

ويجبُ أنْ يُعلمَ أنه لا يستقيمُ الإيمانُ بالقدرِ إلّا مع الإيمانِ بالشرعِ وهو الأمرُ والنهيُ الذي بَعَثَ اللهُ به رسلَه، وأنزلَ به كتبه، وأنّ كلّ ما أمر به؛ فهو طاعةٌ محبوبٌ مرضيّ له تعالى، وكل ما نهى عنه فهو معصيةٌ ومبغوضٌ له تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، وهذا المعنى في القرآن كثير.

وكلُّ ما تقدمَ هو مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في القدر.

وقد ضلَّ في القدر طائفتان:

* **إحداهما:** الجبريةُ الذين قالوا: إنَّ العبدَ مجبرٌ على عمله، وليس له فيه إرادةٌ ولا قدرةٌ.

* **الثانية:** القدريةُ الذين قالوا: إن العبدَ مستقِلٌ بعملِه في الإرادةِ والقدرةِ،

وليس لمشيئةِ الله تعالى وقدرته فيه أثرٌ.

والردُّ على الطائفةِ الأولى الجبريةِ بالشرعِ والواقعِ:

أما الشرعُ: فإنَّ الله تعالى أثبتَ للعبدِ إرادة، ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩].

وأما الواقع: فإنَّ كلَّ إنسانٍ يعلمُ الفرقَ بين أفعالِهِ الاختياريةِ التي يفعلُها بإرادته؛ كالأكلِ، والشربِ، والبيع، والشراء، وبين ما يقعُ عليه بغيرِ إرادته؛ كالارتعاشِ من الحمَّى، والسقوطِ من السطح، فهو في الأول فاعلٌ مختارٌ بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غيرُ مختارٍ ولا مريدٍ لما وقع عليه.

والردُّ على الطائفةِ الثانية القدريةِ بالشرعِ والعقلِ:

أما الشرعُ: فإنَّ اللهَ تعالى خالقُ كل شيءٍ، وكلُّ شيءٍ كائنٌ بمشيئته، وقد بيَّن اللهُ تعالى في كتابه أنَّ أفعالَ العبادِ تقعُ بمشيئتِهِ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

وأما العقلُ: فإنَّ الكونَ كلَّه مملوكٌ لله تعالى والإنسانُ من هذا الكونِ فهو مملوكٌ لله تعالى ولا يمكنُ للمملوكِ أن يتصرفَ في ملكِ المالكِ إلا بإذنِهِ ومشيئتِهِ.

حكمُ الاحتجاجِ بالقدرِ على تركِ الواجباتِ أو فعلِ المعاصي:

الإيمانُ بالقدرِ على الوجه المتقدم لا يصحُّ أن يكونَ حُجَّةً على تركِ الواجباتِ

أو فعلِ المعاصي، ومن احتجَّ بالقدرِ على هذا -كما هي طريقةُ غلاةِ الجبرية وسلفِهم المشركين الذين قال اللهُ عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل:٣٥]- فاحتجاجُهُ باطلٌ شرعًا وعقلًا.

فأمّا الشرعُ فقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]، ولو كان لهم حجةٌ بالقدرِ ما أذاقهم اللهُ بأسَهُ.

وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، ولو كان القدرُ حجةً للمخالفين لم تنتفِ بإرسالِ الرسلِ، لأنَّ المخالفةَ بعد إرسالهم واقعةٌ بقدر الله تعالى.

وأمّا عقلًا: فإنّ المحتجَّ بالقدر على ما تركه من الواجباتِ أو فعله من المعاصي، لو اعتدَى عليه شخصٌ فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتجَّ بالقدرِ، وقال: لا تَلُمني فإنَّ اعتدائي كان بقدرِ الله، لم يقبلْ حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

وأيضًا لو كان القدرُ عذرًا لكان إرسالُ الرسل بالشرائعِ عبَثًا تعالى الله عن ذلك، ولأمكنَ كلُّ ظالمٍ ومفسدٍ في الأرضِ أن يحتجَّ بالقدرِ، ومحالٌ أنْ تستقيمَ الحياةُ على هذا التقديرِ، ولهذا من يحتجُّ بالقدرِ على تركِ الواجباتِ وفعلِ المحرماتِ لا يمكنُ أن يَقْبلَ الاحتجاجَ بالقدرِ من غيرِه كما تقدم.

وأمّا الاحتجاجُ بالقدرِ على المصائب فيجوز؛ لأنها ليست من فعلِ المكلَّفِ،

وإن كان سببُها قد يكون من فعلِه كخروجِ آدمَ من الجنة، بل يجبُ عند المصائبِ النظرُ إلى القدرِ لأنَّ ذلك يعينُ على الصبرِ كما جاء في الحديث: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله، وَلاَ تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

وكذلك يجوزُ الاحتجاجُ بالقدرِ على الذنوبِ بعد التوبةِ منها؛ لأنَّ الأثرَ المترتبَ على ذلك قد زالَ بالتوبةِ فانمحى به توجهُ اللومِ على المخالفةِ، فلم يبقَ إلّا محضُ القدر، وهذا أحدُ الجوابين لأهلِ السنة على حديثِ احتجاج آدمَ على موسى بالقدرِ كما في الحديث: «احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ الله بِرِسَالاَتِهِ وَكَلاَمِهِ ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[٢].

قال ابن القيم: «الاحتجاجُ بالقدرِ على الذنب ينفعُ في موضعٍ ويضرُّ في موضعٍ: فينفعُ إذا احتجَّ به بعد وقوعِهِ والتوبةِ منه وتركِ معاودته كما فعلَ آدمُ فيكونُ في ذكرِ القدرِ إذ ذاكَ من التوحيدِ ومعرفةِ أسماءِ الربِّ وصفاتِهِ وذكرِها ما ينتفعُ به الذاكرُ والسامعُ لأنه لا يدفعُ بالقدر أمرًا ولا نهيًا ولا يُبطلُ به شريعةً بل يُخبر بالحقِّ المحضِ على وجه التوحيدِ والبراءةِ من الحَوْلِ والقوةِ»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاريُّ، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾، رقم (٧٠٧٧)، ومسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم(٢٦٥٢).

(٣) شفاء العليل (ص:٣٢).

وللإيمانِ بالقدرِ آثارٌ وثمارٌ عظيمة، منها[1]:

١- الاعتمادُ على الله تعالى وحدَه؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ بقدرِ الله.

٢- أنَّ الإيمانَ بالقدرِ يعصِمُ الإنسانَ -بإذن الله- من البطرِ والطغيانِ إذا أصابه الخيرُ، ومن الحزنِ والأسى إذا أصابه الشرُّ؛ لأن ما حدث قد جرت به المقادير وسبق به علم الله.

٣- ألا يُعجبَ المرءُ بنفسه عند حصولِ مراده؛ لأنَّ حصولَ ذلك المرادِ نعمةٌ من الله الذي قدّر حصولها، وإعجاب المرء بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

٤- القوةُ والثباتُ في الحقِّ؛ لأنَّ الأرزاقَ والآجالَ مقدّرةٌ، ولا يملك أحدٌ سوى الله تغييرَها بالنقصِ أو الزيادةِ.

٥- الإيمانُ بالقدرِ يغرس القناعة في نفس المؤمن.

٦- أن الإيمانَ بالقدرِ يقضي على كثيرٍ من الأمراضِ التي تعصفُ بالمجتمعاتِ، وتزرعُ الأحقادَ بين الناسِ، وذلك مثلُ رذيلةِ الحسدِ؛ فالمؤمنُ لا يحسد الناسَ على ما آتاهم اللهُ من فضله؛ لأنه يدركُ أن اللهَ هو الذي رزقَهم وقدّر لهم ذلك، وهو يعلمُ أنه عندما يحسدُ غيرَه فإنه يعترضُ على ما قدّره الله تعالى.

٧- الصبرُ على المصائبِ، قال ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2].

* * *

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٤٧-٤٥٨).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٩٩٩).

نواقــض الايمــان

معنى النواقض:

في اللغة: النقضُ في البناءِ والحبلِ والعهدِ وغيره، ضدُّ الإبرامِ، أي هو: الحلُّ، والإزالة والإبطال[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ الآية [النحل:٩١].

وفي الاصطلاح: عُرِّفت بأنها: «اعتقاداتٌ، أو أقوالٌ، أو أفعالٌ تزيلُ الإيمانَ وتقطعه»[2]. وسُميت نواقضَ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا فعلَ واحدًا منها؛ انتقضَ إسلامُه ودينُه، وانتقل من كونه مسلمًا إلى كونه كافرًا.

ويدخلُ في هذه النواقضِ ما يخرجُ من الملةِ كالشركِ الأكبر، والكفرِ الأكبر، والنفاقِ الأكبر.

أما ما دون ذلك مما يدخلُ في الشركِ الأصغرِ؛ كيسيرِ الرياءِ، أو الكفرِ الأصغرِ؛ كالحلفِ بغيرِ الله، أو النفاقِ الأصغرِ؛ كمَنْ عادته الكذب في الحديث أو خيانة الأمانة، أو الغدر، فلا يخرجُ من الملةِ ولا ينقلُ عن الإسلامِ؛ بل ينقص الإيمانُ ويستحقُّ العقوبةَ إلَّا أن يتوبَ صاحبُه غير أنّه لا يخلّدُ في النار، كما يحبطُ العمل الذي يقترن به ولا يحبط جميع الأعمال.

***

(١) انظر: القاموس المحيط مادة: نقض، والمفردات (ص:٨٢١).
(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية (ص:٤٩).

نواقض الايمان[1]:

نواقضُ الإيمانِ كثيرةٌ في تفصيلاتها، لكنها تجتمع في ثلاثةِ أنواعٍ، هي:

أولًا- النواقض الاعتقادية.

ثانيًا- النواقض القولية.

ثالثًا- النواقض العملية.

أولاً: نواقض الإيمان الاعتقادية:

١- الشركُ بالله تعالى (من الناحية العقدية) أي: الشركُ الاعتقادي:

- باعتقاد أنَّ ما سوى الله يستحقُّ أن يُدعى أو يذبحَ له.
- باعتقاد أن ما سوى الله له تَصَرُّفٌ معيّن في الكون.
- باعتقاد أن أحدًا سوى الله له اطلاعٌ على الغيب؛ كالكهنةِ وغيرهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

٢- الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات:

قال الإمامُ ابنُ بطة: «كلُّ من تركَ شيئًا من الفرائضِ التي فرضَها اللهُ في كتابه أو أكدها رسولُ الله ﷺ في سنته، على سبيلِ الجحودِ والتكذيبِ بها؛ فهو

---

(١) هذه النواقض تذكر في باب الردّة من كتب الفقه، وقد ركّزتُ هنا على أهمها. وقد استفدتُ في الحديث عنها من كتابيْ: (نواقض الإيمان الاعتقادية) للدكتور محمد الوهيبي و(نواقض الإيمان القولية والعملية). للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف والكتابان في الأصل رسالتا دكتوراه.

كافرٌ بيّن الكفر»[1].

٣- استحلالُ أمرٍ معلومٍ من الدين بالضرورة تحريمه:

قال الإمام ابن قدامة: «من اعتقد حلَّ شيءٍ أُجمعَ على تحريمه، وظهر حكمُهُ بين المسلمين، وزالت الشبهةُ فيه للنصوصِ الواردةِ فيه كلحمِ الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه، كفر»[2].

٤- الشكُّ في حكمٍ من أحكامِ الله عز وجل أو في خبرٍ من أخباره:

كمن يشك في صدقِ النبيِّ ﷺ وفي بعض أخباره الثابتة عنه، أو في حكم شرعي ثابت كحرمة الربا.

٥- من لم يكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم:

لقد بعثَ اللهُ النبيَّ ﷺ بالإسلامِ، وجعله ناسخًا لما قبله من الأديان، وأخبر أنه لا يقبلُ من أحدٍ دينًا سواه، فكلُّ من دانَ بغيرِ دينِ الإسلامِ؛ فهو كافر. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

٦- اعتقاد أنَّ بعضَ الناس لا يجبُ عليه اتباعُ النبيِّ ﷺ، وأنه يسعه الخروجُ عن شريعتِهِ: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]. وقال النبي ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[3].

---

(١) الإبانة (٢/ ٧٦٤).

(٢) المغني (٨/ ١٣١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب وقول الله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا﴾، رقم (٣٣٥).

٧- الإعراضُ عن دينِ الله لا يتعلمه ولا يعملُ به:

فالإيمانُ لما كان خضوعًا واستجابةً وقبولًا لدين الله، عُدّ الإعراضُ الكليُّ عن هذه الأمورِ ناقضًا للإيمانِ ومفسدًا له. وهذا الإعراضُ عن دينِ الله لا يتعلمه ولا يعملُ به هو تَوَلٍّ عن طاعةِ الرسولِ ﷺ، وامتناعٌ عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد تبيّنَ أنَّ الدينَ لابدّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأنه يمتنع أن يكونَ الرجلُ مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجبًا ظاهرًا، ولا صلاةً، ولا زكاةً، ولا صيامًا، ولا غيرَ ذلك من الواجبات»[١].
وقال ابن القيم: «كفرُ الإعراضِ: أن يُعرِضَ بسمعهِ وقلبِهِ عن الرسولِ ﷺ لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»[٢].

٨- النفاق الاعتقادي (وهو النفاق الأكبر):

وهو: أن يظهرَ للمسلمين إيمانَه بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كلّه مكذّب به. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

وهو أنواع أهمها:

١- تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

٢- بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٢١).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨).

٨- المسرّةُ بانخفاضِ دينِ الرسولِ ﷺ أو الكراهيةِ لانتصارِ دينِ الرسولِ ﷺ.

٩- الإباء والاستكبار:

وهو كفرُ من عرفَ صدقَ الرسولِ، وأنه جاء بالحقِّ من عندِ الله، ولم يَنْقَدْ له إباءً واستكبارًا، وهو الغالبُ على كفرِ أعداءِ الرسولِ. وكفرُ إبليس من هذا النوع، قال الله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

ثانيًا: نواقض الإيمان القولية:

١- سبّ الله تعالى، أو رسله، أو كتبه، أو دينه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من اعتقدَ الوحدانيةَ في الألوهيةِ لله سبحانه وتعالى، والرسالةَ لعبدِهِ ورسولِهِ، ثم لم يُتبع هذا الاعتقادَ موجبه من الإجلالِ والإكرام، الذي هو حالٌ في القلبِ يظهر أثرهُ على الجوارحِ، بل قارنه الاستخفافُ والتسفيه والازدراءُ بالقولِ، أو بالفعلِ، كان وجودُ ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلًا لما فيه من المنفعة والصلاح»[1].

٢- الاستهزاءُ بالله، أو دينه، أو رسله، أو كتبه: فكلُّ ذلك داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

٣- إنكار معلوم من الدين بالضرورة، مثل:

إنكارُ الكتبِ المنزلةِ على الأنبياءِ، أو إنكارُ الملائكة، أو إنكارُ الجن، أو إنكارُ البعث، أو إنكار الوعد والوعيد.

---

(١) الصارم المسلول (٣/ ٧٠٠).

٤ - ادّعاء النبوة: قال ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله»[١].

٥ - ادعاء علم الغيب؛ كالتنجيم والكهانة والعرافة:

كمن يجعل تعلمَ علمِ النجوم «سببًا يدّعي به علمَ الغيبِ، فيستدلّ بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكونُ كذا وكذا؛ لأنَّ النجمَ الفلانيِ صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسانُ ستكونُ حياتُه شقاءً؛ لأنه ولدَ في النجمِ الفلانيِ، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه وُلد في النجم الفلاني.

فهذا اتخذَ تعلمَ النجومِ وسيلةً لادعاءِ علمِ الغيبِ، ودعوى علمِ الغيبِ كفرٌ مخرجٌ عن الملةِ، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وهذا من أقوى أنواعِ الحصرِ؛ لأنه بالنفي والإثباتِ، فإذا ادعى أحدٌ علمَ الغيبِ فقد كذَّبَ بالقرآنِ»[٢].

فمن سألَ المنجمَ أو الكاهنَ وصدّقه كفرَ بالله تعالى؛ قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[٣]. وإن لم يصدقه فكما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٤].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، رقم(٣٤١٣)، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم(١٥٧).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥).
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨) وصححه على شرط الشيخين.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة برقم (٢٢٣٠).

ثالثًا: نواقض الإيمان العملية:

١- الشركُ في عبادةِ الله عزَّ وجلَّ (أي الشرك بالعمل):

بأن يتقدمَ لغيرِ الله بأنواعِ العباداتِ التي هي حق الله وحدَه؛ كالركوعِ، والسجودِ، والنذرِ، والذبحِ.

٢- السحر: هو في اللغة ما خفي ولطُف سببه.

وفي الشرع عُقدٌ ورقى، أو قراءاتٌ وطلاسمُ يُتوصلُ بها الساحرُ إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور.

وهو شِرْكٌ يكفر فاعله؛ لأنَّ فيه استعانةً بالشياطينِ بطاعتهم والتقرب إليهم بفعل الكفر، وذلك لتسليطِهم على المسحورِ. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢][1].

٣- الاستهانةُ بالمصحفِ، وتلويثُه بالنجاساتِ أو دَوْسُه بالأقدام.

٤- مظاهرةُ المشركينَ ومعاونتُهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٨٩-٤٩٠)، ونواقض الإيمان القولية والعملية (ص:٤٩٩-٥٢٣).

حكم تكفير المعيَّن[1]:

الأصلُ فيمن ينتسبُ للإسلام بقاءُ إسلامه حتى يتحققَ من خلافِ ذلك عنه بمقتضى الدليلِ الشرعي، ولا يجوزُ الإقدامُ على تكفيره؛ لأن في ذلك محذورين:

* أحدهما: افتراءُ الكذبِ على الله تعالى في الحكمِ بالكفرِ، وعلى المحكومِ عليه برميه بالكفر.

* الثاني: عودُ وصفِ الكفرِ عليه إن كان أخوه بريئًا منه، فقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوّ الله، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيهِ»[2].

ولذلك فإنَّ أهلَ السنةِ يفرّقون بين التكفيرِ بإطلاقٍ والتكفير بالتعيين، ففي الأول يطلق القول بتكفير من تلبّس بالكفر فيقال: من قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافر.

ولكنَّ الشخصَ المعيّنَ الذي قاله أو فعله، لا يُحكم بكفره حتى تجتمعَ فيه الشروطُ بأن يكونَ -مثلًا- ما قاله أو فعله كفرًا قد دلّت عليه نصوصُ الكتابِ والسنةِ، ولا شبهة فيه.

وتنتفي عنه الموانعُ عن القائلِ أو الفاعلِ للكفرِ بأن لا يكونَ مكرهًا أو جاهلًا جهلًا يُعذر به، أو متأولًا، أو غير ذلك من الموانعِ التي نصّ عليها أهل العلم.

وإنَّ عدمَ الالتزامِ بمنهجِ أهل السنةِ في أحكامِ التكفيرِ والتفسيقِ والتبديعِ مسلكٌ له آثارهُ السيئة على العقائد والأعمال والأحكام، وعلى الأوضاع والوقائع.

---

(١) انظر باب: ضوابط التكفير وموانعه في كتاب نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ١٩٧-٣١٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعان، رقم(٥٦٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم(٦١).

فمسألة «تكفير المعين» وفق ما سبق بيانه لما خاض فيها من خاض بعيدًا عن الضوابطِ الشرعيةِ التي بينها علماء الإسلام، ظهر الانحراف ونجمت الفوضى:

- فأطلقت أحكامُ التكفيرِ جُزافًا، وكُفّرَ أناسٌ بأعيانهم، وبُني على تلك الأحكامِ لوازُم كاستباحةِ الدماءِ والأموالِ، بالقتلِ والتدميرِ والتفجيرِ.
- وبرز رؤساءُ جهّال أحداثُ الأسنانِ، خاضوا في مسائِلَ كبارٍ كالعقائدِ والدماءِ والأموالِ فأهدروها بجرأة دون اعتبارٍ لضوابطَ وموانعَ وشروطٍ كتب فيها وتكلم عنها كبار علماء الأمة.
- كما عُطلتْ في فكرِ هؤلاء وظائفُ الحاكمِ والقاضي المسلم أو من يُنيبه في النظرِ في مثل هذه القضايا، والبتِّ فيها بعلمٍ وعدلٍ، ومنها تبين حالِ المعيّنين ممن اتهموا بالكفرِ، وإقامةِ الحجة العلمية عليهم، وما يستتبع ذلك من إجراءات بنيت على تعظيم شهادة أن لا إله إلا الله، ومن ثم زيادة التحري والتثبت في حال قائلها قبل الحكم عليه، وتعظيم دمه وماله، كما جرت بذلك أحكامُ القرآنِ العظيم والسنةِ النبوية المشرفة.

***

أهم المصادر والمراجع

١- الإبانة، عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، دار الراية، ط١.

٢- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين.

٣- الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ترجمة مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، ط١، ١٤١٣هـ.

٤- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، من موقع فيض الفوائد من الإنترنت.

٥- أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الناشر الندوة العالمية ط٢، ١٤٠٨هـ.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، بيروت، عالم الكتب، د.ت.

٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ط٢، ١٣٩٥هـ.

٨- الإيمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٣٩٩هـ.

٩- بحوث في الثقافة الإسلامية، د. أحمد بن الخطيب وآخرون، الدوحة، دار الحكمة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٠- بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، الرياض، دار الوطن،

ط١، ١٤٢١هـ.

١١- بيان أركان الإيمان، عبد الله القصير، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٣- الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا، أعدها مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطابع الجامعة، ط١/ ١٤١٧هـ.

١٤- الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٤هـ

١٥- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر د. شوكت محمد عليان، الرياض، دار الرشيد، ط١، ١٤٠١هـ.

١٦- الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر، سارة بنت عبد المحسن آل سعود، الناشر المؤلف، ط١، ١٤١٩هـ.

١٧- الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر، د.محمد أبو يحيى وآخرون، عمّان، دار المناهج، ط٣، ١٤٢٢هـ.

١٨- الثقافة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، د. عزمي طه السيد وآخرون، عمّان، دار المناهج، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٩- الثقافة والعالم الآخر، د. عبد الله الطريقي، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م.

٢١- جامع بيان العلم، لابن عبد البر، دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض، ط١.

٢٢- الحضارة، حسين مؤنس، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٨م.

٢٣- الحوار مع أهل الكتاب، د. خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٤- حوار مع نصراني، د. خالد بن عبد الله القاسم، دار الوطن.

٢٥- خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر، عمان، دار النفائس، الكويت، مكتبة الفلاح، ط٣، ١٤١٢هـ.

٢٦- الخصائص العامة للإسلام، د.يوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ. د. محمد بن عبد الله السلومي كتاب البيان،الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٧- دراسات في الثقافة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر وآخرون، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٨- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، موفق الدين بن قدامة المقدسي، تحقيق محمد حامد عثمان، الرياض، دار الزاحم، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٩- سنن أبي داود، تصنيف أبي داود سليمان السجستاني، بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ.

٣٠- السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، د.محمد عمار دار السلام للنشر الرياض ٢٠٠١هـ.

٣١- سنن الترمذي، تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ.

٣٢- سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن، د. بكار محمد الحاج ١٤٣٣هـ دار أنوار

الطبعة الأولى.

٣٣- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعارفي، تعليق عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

٣٤- شبهات التغريب، أنور الجندي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

٣٥- شرح أصول الإيمان، محمد بن عثيمين، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٦- شعب الإيمان، للبيهقي، تعليق محمد زغلول،، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٧- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الرياض، دارالسلام، ط٢، ١٩٩١م.

٣٨- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، ترقيم محمد بن نزار تميم، وهيثم ابن نزار تميم، دار الأرقم، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

٣٩- صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشبيني، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٠- العالم الإسلامي في مواجهة التحديثات الغربية، د.وهبة الزجيلي دار الفكر ٢٠١٠.

٤١- العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، القاهرة، منشورات دار الهلال، ٢٠٠١م.

٤٢- عبادة الشيطان، المخاطر وسبل المواجهة، أسعد السحمراني، عمان، دار النفائس، ٢٠٠٣م.

٤٣- العرب والتاريخ، برنارد لويس، بيروت، دار العلم للملايين،ط١، ١٩٥٤م.

٤٤- العرش لابن أبي شيبة، تحقيق أبـو عبـد الله بـن حمـد الحمـود، الكويـت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤٥- عقيدة التوحيد، الشيخ صالح الفوزان الرياض، دار العاصـمة الريـاض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٦- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح البليهي، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٤٧- العقيدة والمذاهب المعاصرة، عبد العزيز نداء الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٨- علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، بـيروت، المكتبـة العلميـة، طبعة ١٤٠١هـ.

٤٩- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، إسماعيل علي محمـد، دار الكلمـة للنـشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٥٠- العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون ٤-٦/ ٥/ ١٩٩٨م، بحث للدكتور حسين علوان حسين بعنوان العولمة والثقافة العربيـة منـشورات جامعة فلادليفيا بالأردن، عمان، ط١، ١٩٩٩م.

٥١- العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعـاصرة، محمـد بـن سـعد التميمي،بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٥٢- غزو في الصميم، عبد الرحمن الميداني،دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٥٣- في الثقافة الإسلامية أحمد نوفل وآخرون، عمان، دار عمار للنشر،ط١، ١٤٠٤هـ.

٥٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام عبـد الـرؤوف المنـاوي، دار المعرفـة بيروت، ط٢، ١٣٩١.

٥٥- القرآن الكريم.

٥٦- القضاء والقدر في الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن المحمود، دار النشر الدولي، الرياض ط١، ١٤١٤هـ.

٥٧- القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية، د. محمد بن عبد الله السلومي، صادر عن مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٥٨- القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ محمد العثيمين، ابن الجوزي، ط٢.

٥٩- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٥هـ.

٦٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠.

٦١- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر بن عودة الخطيب، بيروت، مؤسسة الرسالة ط٣، ١٣٩٩هـ.

٦٢- مجلة المعرفة، العدد ١٠١، الرياض، وزارة التربية والتعليم، شعبان ١٤٢٤هـ موضوع قيم الإسلام، الحوار الانفتاح على العالم.

٦٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع ابن قاسم، الرياض، ط١.

٦٤- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د.محمد عمارة، مصر نهضة مصر، ١٩٩٩.

٦٥- مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقيه، مصر، مكتبة السنة، ط١، د.ت.

٦٦- مدخل إسلامي لحوار الحضارات، لمحمد السعيد عبد المؤمن، بحث مقدم لندوة الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز،١٤٢٣هـ غير مطبوع.

٦٧- مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د.سعود بن سلمان آل سعود، ود. نعمان السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٨- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٩٨م.

٦٩- مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٠- مدونة السنن الكونية الألكترونية، دراسة السنن الإلهية وأثرها، أبو مريم محمد الجريتلي ١٤٣٣هـ.

٧١- المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، د. أحمد صبحي العبادي، العين، دار الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٢- مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، د. ساعد العرابي الحارثي، من منشورات المجلة العربية، (د. ط. ت.)

٧٣- المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.

٧٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار المعارف المصرية، ١٩٨٠م.

٧٥- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، طبع ونشر المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.

٧٦- المعجم الوسيط، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، طبعة ١٩٧٣م.

٧٧- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، القاهرة،مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٧٨- المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله التركي، المدينة المنورة، دار هجر ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٩- مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، د.خالد بن عبد الله القاسم الرياض

دار الصميعي الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
٨٠- المفردات للراغب الأصفهاني تحقيق صفوان داوود، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ
٨١- مقدمات في الثقافة الإسلامية د. مفرح بن سليمان القوصي الرياض، دار الغيث، ط٢، ١٤١٨هـ
٨٢- منهاج السنة النبوية شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦ هـ.
٨٣- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد د.عثمان حسن، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٢هـ.
٨٤- منهج التلقي والاستدلال، أحمد الصويان، السعودية، الرياض، دار الحكمة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
٨٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة، د. مانع بن حماد الجهني، الرياض، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣، ١٤١٨هـ.
٨٦- موسوعة ويكيبيديا في الشبكة العنكبوتية ١٤٣٣هـ.
٨٧- الموطأ، للإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٨٨- موقع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز في الشبكة العنكبوتية ١٤٣٣هـ.
٨٩- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ.
٩٠- موقف الإسلام من الحضارات الأخرى، د. محمد نورد شان، بحث مقدم إلى ندوة الإسلام وحوار الحضارات، غير منشورة، مكتبة الملك عبد العزيز،

الرياض، السعودية، محرم، ١٤٢٣هـ.

٩١- نحو ثقافة إسلامية، أصيلة، عمر سليمان أشقر، دار النفائس، عمان ـ الأردن، الطبعتان: ط.٦، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ط.١٣، ١٤٢٤هـ.

٩٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين محمد بن الجزري ابن الأثير، ٢/ ٤٠٩، تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، بيروت المكتبة العلمية

٩٣- نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد بن عبد الله الوهيبي، رسالة علمية.

٩٤- نواقض الإيمان القولية والعملية د. عبد العزيز العبد اللطيف، الرياض، دار الوطن، ط٢، ١٤١٥هـ.

٩٥- الوجيز في الثقافة الإسلامية، د.همام سعيد وآخرون،عمّان،دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ.



الفهرس العام

الموضوع الصفحة

* * *

الفهرس التفصيلي

الموضوع الصفحة

ثانيًا: الخصائص العامة للإسلام

ثالثًا: العقيدة الإسلامية

***